الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية
سنة 1276 هـ - 1860 م
لمؤلفه
أبي الجمال محمد الطاهر بن عبد الرحمن الفاسي
حققه وعلق عليه الأستاذ
محمد الفاسي
رئيس الجامعة

جامعة محمد الخامس

سلسلة الرحلات -3-
سفارية -2-

الرحلة الإبريزية إلى الديار الأنجليزية

سنة 1276 هـ - 1860 م

لمؤلفه
أبي الجمال محمد الطاهر بن عبد الرحمن الفاسي

حققه وعلق عليه الأستاذ
محمد الفاسي
رئيس الجامعة

مطبعة جامعة محمد الخامس
فـــاس
1387 ـ 1967

تقديم

نقدم اليوم في هذه السلسلة رحلة ثانية من الرحلات السفارية ، وهي وان لم تكن في درجة الرحلة الاولى : الاكسير ، في فكاك الاسير ، لابن عثمان المكناسي التي نشرناها سنة 1965 ، فانها حلقة من هذه السلسلة الطويلة التي بدأت بالنسبة للمغرب الاقصى برحلة التامكروتي الى اسطنبول أيام السعديين والتي امتدت الى أوائل القرن العشرين .

وهي احدى الرحلات الاولى التي سجلت اتصال المغرب بالحضارة الحديثة الاوربية قبل ان تنتشر معالم هذه المدنية باختراعاتها المبنية على الطاقات الجديدة ، من بخار وكهرباء واستعمالهما في آلات كثيرة متنوعة في وقت كان المغرب لا يعرف عن هذا الانقلاب الجديد شيئا ، وكان لا يزال يعيش على حضارته القديمة فكان من الطريف أن نقف على ارتسامات احد المغاربة انتقل فجأة من حياة مدينة فاس الهادئة المبنية على عوائد وتقاليد تصطبغ بما خلفته القرون الماضية للمدنية العربية الى عالم جديد بدأ يأخذ بمظاهر المدنية العصرية ببواخرها وقطاراتها واسلحتها ومصانعها وتنظيماتها المدنية والعسكرية .

فمن هنا قيمة هذه الرحلة وان صغرت حجما ، فهي وثيقة مهمة تطلعنا على اثر المدنية الغربية في نفوس المغاربة قبل مائة سنة.

المؤلف

ومؤلفها من كتاب المخزن أيام السلطانين ، مولاي عبد الرحمن وابنه سيدي محمد بن عبد الرحمن .

وهو أبو الجمال محمد الطاهر بن عبد الرحمن بن محمد الرضى بن محمد - فتحا - بن الطاهر بن يوسف بن محمد أبي عسرية بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي رضي الله عنه ،

ولد بفاس سنة 1246 هـ - 1830م ودرس بها وبعد انهاء دراسته عين في القصر الملكي من جملة كتابه ، وكان أخوه أبو محمد عبد القادر من اكابر الكتاب

المنشئين ، ترجم له محمد غريط ـ في كتابه ـ فواصل الجمان ، في أنبـاء وزراء وكتـاب الـزمـان .

ويظهر من التحلية التي حلاه بها ناسخ هذه الرحلة، أنه كان من العلماء المدرسين النفاعين ، فلعله هجر الكتابة بدار المخزن بعد رجوعه من السفارة.

واقبل في السنين التسع الاخيرة من حياته على نشر العلم ، ولا نظـن ان ذلك وقع قبل اشتغاله بالوظائف المخزنية ، لانه لما توجه الى انكلترا كـان في السنة الثلاثين من عمره ، فلا يمكن لمن تخلى عن التدريس في مثل هــذه السنين أن يقال عنه ، العالم العلامة المدرس النفاعة الا اذا فرضنا أنــه كان يجمع بين عمله في القصر والقائه الدروس بجامعة القرويين في نفس الوقت ، ولــم تطل حياة أبي الجمال هذا اذ توفى ببلده وهو لم ينه العقد الـرابع مـن عمره سنة 1285 هـ ـ 1868 م ، رحمه اللــه .

سـبـب الـرحـلـة

ولما بويع سيـدي محمد بن عبد الرحمن اقتضى نظره أن يوجه سفارتين الى كل من فرنسا وانكلترا ، وجعل على رأس السفارة المبعوثة للامبـراطور نابليون الثالث الكاتب الوزير ادريس بن محمد بن ادريس العمروي ، وقد تكلم على هذه السفارة ابن زيدان في ترجمة ابن ادريس (ج 2ص، 33) وفي ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الـرحمن.

أما السفارة التي وجهت للملكة فكطوريا والتي كلف بها الامينان ، الحاج عبد الرحمن العاجي ومحمد الشامي ومعهما الكاتب محمد الطاهر الفـاسي، فلم يتعرض لها لا ابن زيدان ولا غيره من المؤرخين ، كما انه لم يذكـر مـن بين أمناء سيدي محمد بن عبد الرحمن لا العاجي ولا الشامي ، نعم ذكر مـن بين سفرائه الحاج عبد الرحمن العاجي (ج 3ص بـ 570).
انما وقعت السفارة الى فرنسا نحو عشرين سنة بعد تاريخ السفارة التــي وجهها الى انكلترا والتي نحن بصددها كما اشار الى ذلك في الصفحة 530 ـ من الجزء الثالث ، وكانت تتعلق بقضية الحدود المغربية الجزائرية ،
وعلى كل حال ، فلولا وقوفي على نص هذه الـرحلة عند ابن عمنا الفقيـه

القاضي السيد عبد المجيد بن عبد الله الفاسي لما كنا نعرف شيئا عن هذه السفارة ، مع أنه كانت لها اهمية كبرى حيث أن انكلترا اذ ذاك كانت تساند المغرب في مشاكله مع اسبانيا في حرب تطوان .

ثم ان هذه السفارة غادرت العاصمة المغربية في نفس اليوم الذي توجهت فيه سفارة ابن ادريس قاصدة فرنسا ، أي في رابع يونيه سنة 1860م.
ولعل هذا راجع لكون الرحلة التي الفها ابن ادريس عن سفارته وسماها ـ تحفة الملك العزيز، بمملكة باريز ـ عرفت وانتشرت حتى انها من أول ما طبع بفاس في المطبعة « السلكية » في حين ان رحلة أبي الجمال الفاسي لم يقع لها مثل هذا الرواج ، وربما كان ذلك بسبب وفاة صاحبها في سن مبكرة ، ولم يعط المؤلف لرحلته اسما وانما ذكر متواضعا في ءاخرها ، « هذا آخر ما يسر الله كتابته في هذه البطاقة » .

لذلك ارتأيت أن أجعل لها اسما تعرف به على غرار مثل هذه الرحلات وهو « الرحلة الابريزية ، الى الديار الانكليزية » والمؤلف على عادة واضعي الرحلات السفارية ، كما شرحناه في مقدمة الاكسير ، لا يتعرض لتفاصيل المامورية التي أنيطت به بالسفارة ولا للمفاوضات التي اجرتها مع الحكومة الانكليزية ،

الرحلة

تصف هذه الرحلة كل ما شاهده مؤلفها ، منذ ركب الباخرة التي اقلته من طنجة الى أن رجع للعاصمة المغربية ـ ،
وقد دامت سفرته سبعين يوما (في صيف سنة 1276 هـ ـ 1860 م).

ويهتم بالخصوص بمظاهر المدينة الحديثة، ولا نتعجب من استغرابه للاشياء التي يراها لانها كانت بعيدة كل البعد عن مالوفه ، ولكنه يتفهمها ويصفها بدقة ووضوح ، ويرجع الاشياء كلها للقدرة الالهية بحيث يقول ، انها وان كانت غريبة فقدرة الله صالحة لذلك، كما قال مثلا عند وصفه لميزان الطقس (باروميتر) حيث وصف دواليبه وكيفية تاثير الضغط الجوي على الزئبق حتى يحرك عقربه نحو اليمين أو اليسار فينزل على رسم الصحو أو الغيم او المطر ،

قال (فترى الواحد يخبرك بالتغير قبل ظهوره ويقول لك « غدا ينزل المطر مثلا فينزل في الغد ، وقد شاهدت ذلك ، وقدرة الله صالحة لذلك، (1) وهو يــدرك انهم توصلوا الى تلك المخترعات بالاطلاع على الضوابط والقوانين الـتـــي تـسـيـرهــا .

وما ترك مظهرا من مظاهر هذه المدنية الجديدة التي انتقل اليها فجأة من وسطه القديم الا وتعرض لها بالوصف مع اعطاء كل المعلومات الكــافية عنها والاحصاءات التي توصل اليها خصوصا من الناحية المالية والاقتصادية والعسكرية ، والملاحظ أن كل واضعي الرحلات الى أوربا في القرن المــاضي يولون القضايا العسكرية اهتماما كبيرا تنبيها لحكومتهم ولمواطنيهم لاهميتها من حيث الدفاع عن حــوزة الــوطــن .

واني أرى أن الحركة الاصلاحية التي بداها سيدي محمد بن عبد الرحمن وتابعها مولاي الحسن الاول رحمهما الله ، كانت نتيجة لكل هذه الكتــابــات الكثيرة التي كان يضعها كتاب السفارات في الرحلات التي يؤلفونها ، وفــي التقارير التي كانوا يرفعونها للمسئولين مما أهاب بالملك العظيم مولاي الحسن لتوجيه عدد من شبان المغرب للتعلم بمختلف عواصم البلاد الاوربية في نفس الوقت الذي بدأت فيه تقريبا حركة النهضة اليابانية ، الا أن المطامع الغربية في بلادنا عملت على احباط هذه المساعي مما ليس هنا محل تفصيله الآن.

المــؤلــف فــي هــذه الــرحــلــة

ومما تعرض له بوصف دقيق من هــذه المظاهر ، الباخرة التي ذهبت فيها السفارة ، ونظام عمل البحرية فيها ومحطة السكــة الحديدية ، واختــراع الطاقة البخارية ، واستعراض الملكة فكطوريا للجيش بمحضر أعضاء السفارة المغربية مع مناورة حربية ، وقعت بعد ذلك ، ومعامل السلاح ، وكيفية صنــع الرصاص والبندقيات والمدافع ، واقامة معرض عام ، وحديقة الحيوانــات ، وتدريبات في الرماية ، ومتحف الســلاح ، وحديقة النباتــات ، والغــراســة بالتسخين الصناعي ، والبنك مع المعاملات بالاوراق البنكية ، ومكتب البرق،

---

(1) انظر ص : 6 من هذه الرحلة .

وغير ذلك من الشئون التي كانت كلها جديدة بالنسبة اليه ، وقد توفق كل التوفيق في شرحها واعطاء البيانات الشافية عنها .

وهو يستعمل لغة سهلة ، ولا يحجم عن استعمال الكلمات الجارية على الالسن للزيادة في البيان والتوضيح ، كما يستعمل (على عادة كاتبي الرحلات السفارية) كثيرا من الكلمات الدخيلة ، تلجيء اليها ظروف وجودهم بأوربا واتصالاتهم بالتراجمة الذين كانوا في الغالب من الأجانب الذين يحسنون اللغة العربية في الجملة أو من اليهود المغاربة الذين لم تكن لهم ثقافة عربية وانما كانوا يعرفون اللغة العامية فحسب .

المخطوط

قدمت أنه لا يوجد من هذه الرحلة الا نسخة فريدة تقع في بضع ورقات، وقد كنت استنسختها بيدي منذ اكثر من ثلاثين سنة ، وهي منقولة من مبيضة مؤلفها كما ورد النص على ذلك في آخرها مع التاريخ وهو 20 – جمادى الثانية عام 1287 ، أي سنتين بعد وفاة المؤلف ولم يذكر اسم الناسخ الا أنه صرح بأنه تلميذ المؤلف .

وقد رأيت أن أذيل حواشي هذه الرحلة بتعاليق تشرح بالخصوص معاني الالفاظ العامية والدخيلة التي تكثر فيها ، وجعلت عناوين للمواضيع التي تعرض لها المؤلف على غرار ما فعل هو نفسه في بعضها وأهمله في البعض الآخر ، وقد جعلت عناوينه الاصلية بين هلالين ، والعناوين التي وضعتها مغفلة منهما ، ومن الله تعالى نسأل العون في اخراج بقية الرحلات الكثيرة التي تزخر بها المكتبة المغربية ، والتي اعتبرها أكبر مساهمة أدبية للمغرب في تاريخ الادب العربي .

الرباط في 18 صفر 1387   محمد الفاسي

28 مايه 1967   رئيس جامعة محمد الخامس

بســم الله الرحمان الرحيــم   وصلى الله على سيدنا محمد وآلــه

الحمد لله الذي بيده الحركة والسكون ، ومن اذا اراد شيئا ان يقول له كـن فيكون ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبراس هذا الوجود، المختص بالسر المكنون ، وعلى آله واصحابه الذين بهم حمى الله هذا الدين ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وبذكرهم يبلغ المستفيدون ما يرجون ، اما بعد ، فانه لما من الله على هذه الاقطار المغربية ، والديار الادريسية ، بولاية السلطان الاصعد ، المظفر الاسعد ، المحفوف بالنصر المؤيد ، سيدنا ومولانا محمد (1) الذي به دافع الله عن الدين والامة ، وكشف به عن الملة الاسلامية ، كل غمــة ، واقام به معالم الايمان بعد طموسها ، فتهللت اسرة الايام بعد عبوسها ، وافول شموسها، من اختاره الله في ازله القديم، واجلسه على منصة التبريز والتقديم ، اقتضى نظره السعيد ، ورايه الصالح السديد ، بعد الاستخارة النبوية ، التي هي من محاسن العبودية، ان يوجه رسولا يسمى في الاصطلاح – بباشدور(2) – الى جنسي – الفرنسيس والنكليز – واختار لذلك طائفتين ، طائفة وجهها الى – بريز – وطائفة الى – اللندريز – فكان من قدر الله ان اختارتني الفرقة الذاهبة ، الى – اللندريز – أعني الامين (3) الارضي ، الخير الزكي المرتضي ، السيد الحاج عبد الرحمان العاجي ، والاجل الاحظى ، الامين الارضى ، السيد محمد الشامي ، حفظهم الله بمنه آميــن ، فاجبتهم لذلك ، لما علمت من حسن نيتهم ، وجميل

---

1) بويع سيدي محمد بن عبد الرحمن سنة 1859 م توفي سنة 1873 م

2) باشدور : كلمة اسبانية معناها سفير وهــي تكتب Embajador وتنطق اليــوم فــي لغتهــم امبــاخضــور .

3) الامين أي المؤتمن على مال الدولة وقد كان هذا اللفظ في النظام الاداري المالي بالمغرب يطلق على الموكل بالخزينة وبكل ما يرجع للمــال قبضا وصرفا لذلــك كان هناك امناء كثيرون كأمين الديوانة وامين الصائر الخ ء وكان وزيــر المالية يدعي أمين الامــنـــاء .

ملوبيهم ، لاجل القيام ببعض الوظائف ولما عسى يحتاجون اليه في تلك المواقف ، من كتابة او تقييد او غير ذلك ، لما يتوقفون عليه هنالك ، ولقد احسن سيدنا ومولانا امير المومنين في هذا ، لما فيه من الدفع والذب على المسلمين ، وايضا فيه مداراة بالطف اشارات ، والمداراة واجبة ، والمداهنة محرمة ، والفرق بينهما كما قال عياض ، المداراة بذل الدنيا لاجل صلاح الدين او الدنيا ، والمداهنة بذل الدين لاجل صلاح الدنيا ، والمداراة لاهل الايمان ، والمداهنة لاهل العصيان انتهى واسال من الله تعالى ، ان يبيد بمولانا امير المومنين الطغاة ، ويهزم البغاة ، ويحفظه ويؤيده، ويوفقه لما فيه صلاحه وصلاح العالمين ، بجاه النبي الامين ،

واخلص في الدعا للخلق طـرا   وخص به الملـوك مـع الـولاة
فان صلحوا فيصلح من سواهم   ومـا المرعى الا بالـرعيـات

ثم اقول ، وبالله التوفيق ، الى اقوم طريق ،

كان انفصالنا من الحضرة العلية (1) ، الزكية السنية، في صبيحة يوم الاثنين 13 من ذي القعدة عام 1276 (2) في عافية وهناء، وسرور بوجود مولانا المنصور، قاصدين ثغر طنجة ، ادامها الله دار اسلام ، وصانها بحرمة نبيه عليه السلام ،

ذكـر دخـولنـا لطنجـة

كان دخولنا لثغر طنجة المحروس بالله ، في يوم الاثنين 19 (3) من تاريخه، في امن وامان ، بفضل مولانا الملك المنان ، وتلقانا اهل المدينة فرحين مسرورين وبعد نزولنا على دوابنا ، تلقينا بسيدنا الشريف ، الصدر المنيف ، غصن الآس ،

---

1) الحضرة العلية يعني عاصمة المملكة المغربية . انظر فاس .

2) الموافق 2 يرنيـه سنة 1860 ولكن فاتـح قعدة كان سنة 1276 يـوم اثنيـن فيكون الصـواب فـي يرم الخـروج حيث صرح انه يـوم اثنيـن 15 مـن ذي القعدة المـوافـق للـرابع مـن يرنيـه .

3) لا يمكن أن يكون يرم اثنين 19 مـن ذي القعدة حـسب مـا ذكـر أولا وانما ٥ن عـلى اننا ذكرنا أن الخـروج كان يوم 15 فـالدخول لطنجة كان ضرورة يـوم 22 مـن ذي القعدة المرافق للحادي عشر يونيه سنة 1860 .

او ظبي يمرح في كناس ، سيدنا ومولانا العباس ، فسر بقدومنا غاية ، وقام بامورنا اتم قيام ، ولا غرابة في هذا ، اذ الدر من معدنه ، وذلك من مقتضيات طبعه الشريف ، وحسن سيرته ، وكان نزولنا هناك بمحل طيب ، فيه حديقة مثمرة زاهية ، ذات مياه جارية ، طلعها نضيد ، وظلها مديد ، ثم اتى لتلقينا ـ اقناص (1) جنسي (2) ـ النكليز والفرنصيص، واظهروا لنا من البشاشة والفرح ما لم يخطر لنا ببال ، ولا رسم في الخيال ، ومن فرحهم ، أن استدعى كل من ، ـ الاقناص ـ الى داره من كان منا ذاهبا لبلده ، وما ذلك الا بطلعة مولانا السلطان السعيد ، الموفق الرشيد ، ادام الله للمسلمين وجوده ، وايد جنوده ، آمين ، وكانت مدة اقامتنا في الثغر المذكور ثلاثة ايام .

(ذكر ركوبنا في البحر)

كان ركوبنا فيه في زوال يوم الخميس ـ 24 (3) ـ منه، كان ركوبنا في البحر بعد ان اخرج المسلمون 19 مدفعا ، بقصد الفرح ، على العادة ، فلما نزلنا من ـ الفلوكة (4) ـ وصعدنا منها، أخرج النصاري عددا مثل ذلك، فانزلونا بمحل جيد يسمى ـ بالقامرة (5) ـ وهي مشتملة على بيوت ستة ، وفي وسطها حلقة (6)

---

1) اقناص : جمع قنصو أي قنصل . وهذا الجمع غريب اذ العامة كانت تجمعه على قنصويات واليوم يقال القناصل وتطلق اللفظة مجازا على الشخص الذي يظهر ترفعا في معاملته للناس .

2) الجنس : تنطق الجيم في هذه الكلمة معقودة لوجود أحد حروف الصفير فيها وهو السين ويطلق لفظ الجنس على الشعب الاجنبي فيقال جنس الطليان مثلا ويجمع على جنوس وقد جمعه المؤلف في ص 35 على أجناس وهو استعمال فصيح.

3) بل يوم 25 المرافق 14 يونيه وهو المناسب لقوله : « وكانت مدة اقامتنا في الثغر المذكور ثلاثة أيام » .

4) الفلوكة هي الزورق وأصلها من العربي الفصيح فلك بضم فسكون .

5) القامرة كلمة اسبانية هي Caméra في اللغة القديمة ومنها الكلمة المغربية و Camara اليوم وهي الحجرة والقاعة والمكان الرفيع في المنزل ، والمغاربة يخصصون هذه اللفظة للغرف الفاخرة في البواخر .

6) الحلقة في الاصطلاح المغربي عبارة عن الفضاء الذي تدخل منه الشمس والنور الى المنزل حيث أن الدار المغربية تبنى حجراتها وغرفها حول ساحة

مغطاة بقبة من زجاج، اذا اريد زوالها ازيلت، وتحت مائدة معدة للاكل ـ مدورة بكراسي يجلسون عليها للاكل ، وبهذه ـ القامرة ـ (كنبيات) (1) معدة للنوم ، وفيها داران للوضوء (2)، وفيها صورة ملكتهم، من اين رايتها قابلتك كانها ضاحكة وفيه ـ سراجيب ـ (3) مطلة على البحر، وهذا المركب ـ بابور (4) ـ عظيم ، يسمى ـ ببابور فركطة (5) ـ لعظمه ، وهو لدولة ـ النكليز ـ واسمه بلغتهم (فركط مل بمن) (6) ومعناه بالعربية، الصاعقة، وهو معد ـ للكرة ـ ولذلك لا يذهب بالنواعير ، وانما يذهب ـ بالرفاص (7) ـ وهو أي الرفاص ـ من

تسقف من كل جهاتها الا من وسطها وهو المسمى الحلقة فاذا طلعت الى سطح المنزل امكنك أن تطل من الحلقة على وسط الدار ويبنى حائط حول الحلقة للوقاية من السقوط . وكثيرا ما تكون هذه الحلقة مربعة أو مستطيلة واحيانا تكون مستديرة وهو الاصل في تسميتها حلقة وكثير من هذه الحلق تحفظ بمد قضبان من حديد على شكل شبابيك افقية لا تمنع الشمس والنور والهواء من التسرب الى المنزل وتحفظ الاطفال وغيرهم من السقوط .

1) يعني كما شرحه اسرة للاستراحة وهذه ترجمة اسبانية لكلمة انكليزية هي Couch (كاوتش) لهـا معنيان : الاول : متكأ متسع هو ما يدعى بـالفرنسية والاسبانية Canapé والثانية سرير للاستراحة فاكتفى الترجمان بالمعنى الثاني . واصـلCanapé اليونانية القديمـة kônôpeion نـاموسيـة Moustiquare مـن Kônôps : بعـوض .

2) دار الوضوء هي المرحاض ويقال لها كذلك الميضاة (وتنطق ميضة)

3) السراجيب جمع سرجب وهذا النطق عامي أما في كتب الادب والتاريـخ الـتي وردت فيها هذه الكلمة فهي بالشين ، ومعناها النافذة وأصلها من الفارسية جهارجوب

4) بابور من الاسبانية Vapor ومعناه باللغتيـن باخـرة والمعنى الاصلي فـي الاسبانية البخـار . ويستعمل هذا اللفظ فـي العامية المغربية كذلك لاناء من مـعدن يغلى فيه الماء يجعل النار وسطه ويخرج دخانها من فوة من أعلاه وحول هذه المدخنة يجعل الماء ويقفل عليه مـن أعلى ويجعل له انبوب فـي أسفله ويتخذ لتغلية الـمـاء لصنـع الشـاي ونحـوه .

5) سفينة بحرية ـ بارجة من الاسبانية Fragata وهي في الانجليزية Frigate

6) قـوله : ومعناه في لغتهم الصاعقة لم أجد له أصلا . واقرب ما يفهم من فركط مل بـمـن : Frigate mail Boat أي سفينة البريد ولعل في ما كتبه تحريفا .

7) يعني الرفاس لنطق المغاربة هذه الكلمة بالصاد . مـن رفس : ضـرب ودفـع برجلـه وذلك لان حركـة هذه الالـة تشبه الدفـع .

حديد، طوله يزيد على العشرة اذرع، وهو بقرب مؤخره لا يظهر، وجرت عادتهم، باستعماله، ـ اعني الرفاص ـ لمراكب ـ الكرة ـ وترك النواعير، لان النواعير اذا أصيبت واحدة في الحرب، فسد بتمامه، فاستنبطوا هذا ـ الرفاص ـ لانه داخل في البحر تحت بعض المركب، لا يصاب اصلا، واسم رئيسه بلغتهم، (كبطن شلص يوارط) وهذا الرئيس ـ مع كفره ـ تعجبنا من احسانه ، وحسن شيمه وادبه ، ومساعدته لنا وملاطفته ، وددنا ان لو كان مسلما .

وصف المركب

وطول المركب واحد وتسعون قدما ، والمراد بالقدم (1) ـ خلفة (2) ـ الرجل المتوسط، وعرضه 13 قدما بالقدم المذكور، وفيه من المدافع العظام، ـ51ـ ومن البحرية خمسمائة ، ومن العسكر مائة ، فالجميع القائم به ـ 600 ـ وجميع من به من البحرية فرح بنا ، وما قصر في جانبنا ، وبمجرد دخولنا للمركب ، اشار اليهم كبيرهم بلغته ، فجعلوا يتسابقون للصعود فوق الصواري، ويضربون الصفوف هنالك ، ـ طبقة فوق طبقة ـ وجعلوا ـ شماريرهم (3) ـ بايديهم، وهم يتكلمون بكلام يرفعون اصواتهم ، وكل ذلك اشارة الى الفرح بنا ، والتعظيم لاميرنا، كما يفعلون مع عظمائهم ، وهذا العدد ـ اعني ـ 600 ـ كل واحد مكلف بعمل ، ولا يجلس واحد منهم البتة.

فمنهم المكلف بالذهاب و الاياب في المركب ، وهذا يسمى عندهم ، ـ بالوردن (4) ـ اعني الحارس ، ومنهم المكلف برؤية الشمس عند الزوال بالقوس ، ومنهم المكلف بزيادة البحر ونقصانه.

---

1) حيث فسر القدم بخطوة الرجل المتوسط أي نحو 70 سنتمترا يكون طول هذا المركب 63 مترا وعرضه تسعة امتار والمعروف أن القدم في اصطلاح الانكليز Foot يساوي 304 من الميليمترات ولا أدري من أين له انه خطوة الرجل المتوسط .

2) الخلفة في اللهجة المغربية هي الخطوة ويقال خلف بتشديد اللام أي سار.

3) الشمارير جمع شمرير وهو القبعة وأصله من الاسبانية Sombrero

4) الوردن بمعنى الحارس كما قال ، يقال له في العامية المغربية الوردية من الاسبانية Guardia وفي الانكليزية Guard وتنطق كاد بالقاف المعقدة Guardian وتنطق كادين ـ ولا وجود لوردن .

وصف ميزان الطقس

ومنهم المكلف بتغير الزمان ، من شتاء وصحو و ـ سخانة وبرودة ـ ولهذا آلة معدة لهذا المعنى، شبه المجانة (1) المعروفة، وصورتها دائرة مركبة من نحاس وغيره ، وعليها زجاجة ، وبهذه الدائرة عمود متصل بها ، ووسطها كله منحوت مملوء بزئبق، وبأعلى الوسط ـ مرى (2) ـ كما للمجانة وبجنبها ثقالتان (3) من بلور (4) فاذا قرب تغير الزمان من صحو الى غيم مثلا ، تغير الزئبق، فتجذب الثقالتان ـ المرى ـ فيتحرك فينزل على رسم الشتاء او الصحو او الغيم مثلا، وهكذا، وذلك لان بوسط هذه الدائرة رسوم التغيرات كلها، واهم علامة تميز كل واحد على حدته، ودوران ـ المرى ـ يبين ذلك،فترى الواحد يخبرك بالتغير قبل ظهوره،ويقول لك:غدا ينزل المطر مثلا، فينزل في الغد،وقد شاهدت ذلك،وقدرة الله صالحة لذلك ، ولكل واحد آلة يستعين بها على ما هو مكلف به ، وفي مدة سفرنا في هذا المركب ، يحتاجون كل يوم لغسله ، ويصقلون السلاح والمدافع والكور (5)، وينظفون ما يحتاج الى تنظيفه، وجلهم له معرفة بالحساب والتنجيم والتعديل ، ومن عادتهم ، اذا قرب غروب الشمس ، اجتمع عدد بيدهم آلات الموسيقى ونصب شيئا مثل القبة ، وجعل كل واحد بيده ورقة ، وجعل يضرب في تلك الآلات ، وينظر في الورقة ، وهذه الآلات، منها ما هو كالطبل ، ومنها

---

1) المجانة هي الالة التي يعرف بها الوقت أي الساعة وتطلق على كل انواع الساعات الكبيرة والصغيرة وأصل الكلمة من اليونانية Magganon مكانون وعربت بمنكانة وذلك بحل ادغام الجيم المعقودة وتعريض الجيم الاولى بنون فحرفها المغاربة الى مجانة بالتخفيف . والكاف والجيم في كل هذه الكلمات معقدة.

2) المري ويجمع على مراري هو اللفظ المستعمل في اللغة العربية المغربية التعبير عما يطلق عليه عند المولدين عقرب الساعة . والكلمة اسم فاعل من ارى ولا شك انها ادل على المعنى المقصود .

3) الثقال والثقالة بتشديد القاف وهو قطعة من حديد أو نحوه ثقيلة تعلق سلسلة في الساعات الحائطية لتسيير حركاتها .

4) : في الاصل بلدر ولعله تحريف الناسخ الا ان يكون لفظا اعجميا لم اتبينه .

5) الكور جمع كورة للقنبلة انظر ص. 16 تعليق 6.

ما هو كالبوق، ومنها ما هو كالطنبور (1)، ومنها ما هو كالهندقة (2) فاذا ضرب الجميع ، تجتمع من ذلك نغم يستحسنها السمع ، ولا يانف الطبع ، فيبقون كذلك نحو الساعة ـ المجانية (3) ـ ثم يهييء كل واحد فراشه للنوم، وعادتهم يعلق كل واحد فراشه بسقف السفينة وينام فيه ، ومن عادتهم ، ينصبون خوان الاكل في الساعة الثانية والثالثة من النهار ، يجلسون ، كل واحد على كرسي صغير ، ويجعلون للاكل آلات ، ويحضرون من انواع الحلاوي والفواكه وغير ذلك ، وحفظنا الله ، والحمد لله ، من هيجان البحر وفتنته ، لان الوقت اذ ذاك وقت مصيف ، والغالب عليه في هذا الوقت سكونه ، ومسافة ما بين ثغر المسلمين ـ اعني طنجة ـ ومرسى ـ بور صموت(4) ـ احدى مراسي ـ النجليز ـ اثنا عشرة مائة ميل (5) ، وكنا نسير في الساعة ـ المجانية ـ من ـ 9 ـ أميال ، الى ـ 10 باعتبار زيادة الريح ـ ونقصانه، لانه اذا وافق الريح، استعمل القلوع (6) زيادة على المكينة (7) ـ فيزيد البابور ـ في السير ، وهكذا .

وكانت مدة سفرنا في البحر ستة ايام ، وفي اليوم السابع رسى المركب،

---

1) لا أدري هل يعني الطنبور الذي هو كلمة عربية أصلها فارسي ومعناها آلة موسيقية ذات أوتار تشبه العود أم يقصد الطنبور بمعنى الطبل والكلمة مستعملة في المغرب بهذا المعنى أخذا عن اللغات الاوربية .

2) الهندقة : صحنان صغيران من عاج أو من خشب أو من حديد يركب أحدهما في الابهام والآخر في الوسطى ويضرب بهما في بعض الاجواق الموسيقية وتستعملهما الراقصات الاسبانيات كذلك وتسمى الهندقة بالاسبانية Castañuela وبالفرنسية Castagnette وهي في العربية الصنج يجمع على صنوج .

3) ساعة مجانية : أي 60 دقيقة للتفريق بين ساعة بمعنى الوقت الحالي مطلقا وساعة بمعنى وحدة زمانية .

4) بورسموت ميناء عظيم يكتب بالانجليزية هكذا Portsmouth

5) « ما بين طنجة وبور سموت » 1200 ميل اذا كان الميل العادي أي 1609 من الامتار تكون هذه المسافة 1930 كيلوميتر ـ واذا كان المقصود الميل البحري أي 1853 من الامتار تكون هذه المسافة 2223 كيلوميتر ـ اما اذا كان يقصد بالميل

6) القلوع : شراع السفينة واحده قلع بكسر فسكون .

7) المكينة : لفظة عامة للدلالة على آلة وهي لفظة اسبانية Maquina

فاتى في الحين ـ ببابور ـ للمخزن اصغر منه ، فنزلنا من ـ البابور ـ الكبير ، وصعدنا للصغير ، فذهبنا فيه بعد ان مررنا على ازيد من مـائة ـ بابـور ـ هنالك معدة ـ للكرة ـ فلمـا اردنا النزول ، رايناهم وضعوا خشبا واعمـدة وجعلوا عليها ثوبا من ـ الكمخة (1) ـ اخضر اللون، على حاشية المرسى، خشية ان يصيبنا شيء من الماء ، وليسهل ركوبنا من المركب للمرسى .

(ذكـر دخولنا ـ لبور صموت ـ احدى مـراسي النجلين)

وهذه المرسى تسمى ـ ببور صموت ـ احدى مراسي جنس ـ النجليز ـ وهي عظيمة جـدا ، وبها من العدة والعدد ما لا يحصى كثرة ، فنزلنا منها للبر ، بعد ان اخرج النصارى عددا من المدفع، فتلقانا ـ الميران (2) ـ الكبير، أعني امير المراكب مع عسكر كبير، وأرباب ـ الموسقات (3) ـ وغيرهم من أعيان البلد واظهر لنا الفرح ، وسلموا علينا وسلمنا عليهم ، كل ذلك ايماء باليد ، فمشينا قليـلا واذا بناظر المصاريف الخارجية واسمه ـ كبطان لنج ـ يتكلم بكلام عربي اتى لملاقاتنا ، وسلم علينا بكلام عربي وقال : انا كنت ـ ببريز ـ فكتبت الـي دولة النجليز ـ في السلك (4) بالقدوم ، فلما قدمت أخبرتني الدولة بقدومكم ، ووجهتني لملاقاتكم وللقيام باموركم ، واخبرنا بان الملكة امرت ان تجدوا في السير ، فاتى في الحين بثلاث ـ كروصات (5) ـ فركبنا ، بعد أن استرحنا مدة قليلة ، قدرها اربع دقائق ، فسرنا الى ان وصلنا الى قبـاب عظـام ، مركبة مـن

---

1) الكمخة : نوع من النسيج الحريري السميك . والاصل من الفارسية .

2) الميران : قائد البحرية من العربية أميـر البحر حيث صارت في الاسبـانية Amirante وفي الانجليزية Admiral وفي الفرنسية Amiral وقد سماه المؤلف بالعربية امير المركب وفي ص 12 و ص 38 سماه ميران البحر.

3) الموسقات جمع عامي لموسيقى وهو يستعمل المـفرد أحيانا هكذا مـوسقة ومن ثـم جمعـه على موسقات ويقصد بها الآلات الموسيقية .

4) السلـك يقصد بـه ما نسميه اليـوم البرق أي التـلغراف .

5) كروصات وكراريص جمع كروصة من الاسبانية Carroza وهـي عـربـة بأربع عجـلات تجرها الخيل . وقد سماها في ص 38 عربيـات.

خشب وزاج (1)، وهي محل اجتماع ـ البابورات ـ البرية (2)، فراينا هنالك من ـ البابورات ـ البرية نحو الاربعين فاكثر ، فنزلنا من ـ الكراريص ـ وركبنا في الساعة الثالثة من النهار في ـ بابور ـ البر ، قاصدين الذهاب ، ـ للندريز ـ فسرنا، وكلما مررنا قسما (3) نجد مدينة صغيرة او قرية وبساتين وديار الصناعات (4) وغير ذلك ، حتى وصلنا في السادسة من النهار لمحل (5) اجتماع ـ البابورات ـ وهي مبدا قاعدة ـ اللندريز ـ ومسافة ما بين المرسى المذكورة واللندريز، 160 ميلا، والميل الفا ذراع (6) ثم نزلنا من (البابور) وركبنا في ـ الكروصات ـ قاصدين محل النزول .

---

1) . الزاج : هو الزجاج في اصطلاح المغاربة اختصارا ـ وهذه الكلمة لا علاقة لها بلفظة الزاج الفصيحة التي اصلها من الفارسي « الزاك » وهي تطلق على ملح يستعمل في تركيب مادة يصبغ بها .

2) البابورات البرية : جمع البابور البري ويقال له بابور البر وهو القطار تشبيها له بالباخرة فكأنهم قالوا باخرة البر مقابل باخرة البحر .

3) القسم هنا معناه خمس دقائق والمغاربة يقسمون الساعة الى 12 قسما وكذلك التونسيون الا انهم يسمون القسم درجا . وفي ص. 36 يقول قسم مجاني تخصيصا له بالقسم الثاني عشر من الساعة .

4) دار الصناعة في اللغة العربية تطلق بالخصوص على المحل الذي تصنع به السفن والالات الحربية ومنها Arsenal بالفرنسية و Darsena بالاسبانية والايطالية وعنها اخذها الاتراك فقالوا ترسانة فاقتبسها منهم عرب المشرق فرجعت للعربية محرفة واما ديار الصناعات هنا فمعناها المعامل والمصانع عموما .

5) يعني محطة القطار

6) « والمسافة ما بين المرسى المذكورة واللندريز 160 ميلا والميل الفا ذراع » ـ هذا لا يستقيم لان الميل يساوي 1609 من الامتار والذراع هو ما بين المرفق والاصبع الوسطى أي نحو نصف ميتر (بالضبط 0،48) فيكون الميل على تقديره نحو الف ميتر وهذا باطل . والحقيقة أن بين بور سموث ولندن سبعين ميلا . أي 112 كيلو ميتر ، وعليه فانه يعتبر الميل نصف المعهود وجعل المسافة على هذا 80 كيلو ميترا وهذا جائز باعتبار الطرق اذاك . ولا ادري من أين له هذه التقديرات لان العرب كانوا يعتبرون أن الميل اربعة الاف ذراع كما نص عليه مثلا في المعجم الوسيط ، وهو المناسب للمسافة المذكورة .

(ذكر دخولنا ـ للندريز . قاعدة مملكة جنس النجليز)

كان دخولنا لهذه المدينة العظيمة في الساعة السادسة من آخر النهار ، وهو يـوم الأربعاء متم ذي القعدة عام 1276 (1) .

وهذه المدينة من المدائن العظام ، ما رايت اعظم منها ولا احظى ، حتى تكرر على اسماعنا ان طولها ستة ايام ، وعرضهـا كذلك ، وبهـا سلطانـة الجنـس ـ النجليزي ـ وغالب بنائها بالحجر المنحوت، ويبطنون (2) الحيطان من داخل بالخشب، ويجعلون عليه ـ كاغيدا (3) ـ مموها، ويفرشون الأرض ببسط وزرابي جيدة، وكان نزولنا بمحل يسمى عندهم ـ بالبسطة (4)ـ ويسمى ايضا ـ بالهطين (5) ـ وهو محل معد لنزول ـ الباشدورات ـ والاكابر،في ارضه بسط من بابه الى منتهاه، وهو مشتمل على صالات (6) متعددة، وبوسطه براح متسع،وفيه من انواع افرش والحرير واشريات واواني الذهب والفضة وغير ذلك ما لا يحصى كثـرة ، وبمجرد نزولنا اتى لنا الوكيل ـ بكروصات ـ ثلاث من قبل الملكة ، وقـال : ان هذه معدة لركوبكم كما امرتني بذلك الملكة ، والديار بهـذه المدينة كلـها متشابهة الا ما قل ، ونتميز بالاعداد على ابوابهـا ، ووسط هـذه المدينة كلـه

---

1) كان يوم الاربعاء في الواقع فاتح ذي الحجة 1276 هـ الموافق 20 يونيـه سنـة 1860 م .

2) بطن : جعل ثوبا للتدفئة او للتقوية داخل اللباس . وهـذه اللفظة الفصيحـة تستعمل في اللهجة المغربية بهذا المعنى . الا انها تعمم فيقـال بطـن الصندوق ونحوه بثوب او بحديد والحائط بخشب كما هنا او بغيـره .

3) الكاغد بالدال وبالذال وبفتح الغين وكسرها فيهما هـو الورق . وفـي العاميـة المغربية يقال له الكاغيط . ومأ ذكر في ص. 35 بعد هذا من اللغات الثلاث في الكاغـد لا اصل له لا في الفصحى ولا في العامية .

4) البسطة لفظة اسبانية Posta معناها المحل المعد لنزول المسافرين كلما قطعوا مرحلة . وهـو ما كنا نسميه بالمغرب «نزالـة» وهنـا يستعمله بمعنـى فنـدق بدليل ايراده مرادفا للفظة « هطيل » .

5) هطيل أي ما نسميه اليوم فندقا ونزلا .

6) صالة بمعنى قاعة وفي الاصطلاح المغربي تطلق هـذه اللفظة بالخصوص على حجرة تكون في أعلى المنزل ولها نوافذ تطل مباشرة على السطح .

بساتين وحدائق وغير ذلك ، وفي وسط هذه البساتين من انواع النوار ما لا يوصف ، على ترتيب غرسه ومباشرة امره ، وفي وسطها ايضا كراسي عديدة ، معدة للجلوس عليها بقصد النزهة والفرجة وعادتهم ، انهم لا يحمون البساتين بالحيطان ، وانما يحدقونها بقصب من حديد واثف ، وبراسه شيء شبيه - بالحربة - ولاهل هذا البلد خيول عجيبة مؤدبة ، ومن ادبها لا تصهل عند الاجتماع ولا تمهمه ، مع انها فارهة ، وعلى الركض شارهة ، فسبحان من سخر لهم الاشياء ، مع اتباعهم الاهواء ، ليظهر صنع الله في العكس والطرد وليعلم العاقل انه لا غرض له في القرب والبعد .

واذا نظر الانسان في هذه الاشياء ، باعتبار مبدعها ومكونها ، واعتبر ونفكر ، واستبصر وتذكر ، انتج له ذلك ، ان ليس الا الله وحده لا شريك له .

و في كل شيء له آية تدل على انه الواحد

ولما دخلنا ونزلنا بمحل النزول ، بتنا ليلتنا ، وفي غد يوم الخميس ، بقصد الاستراحة ، وفي اليوم الثالث ، اعني يوم الجمعة ، جاء الوزير في الساعة الواحدة فسلم علينا ورحب ، وسالنا عن احوالنا وعن كيفية ركوبنا في البحر. فاجبناه بما يناسب ، وطلب منا كتاب سيدنا وقال : ان الملكة امرتني بالاتيان به، فقلنا له : عادتنا انا ندفع كتاب سيدنا ايده الله بايدينا حين الملاقاة، فضحك واجاب بالقبول ، وقال : غدا في الساعة الثانية نرجع عندكم ، فوعدناه وذهب

اقتبال الملكة للسفارة المغربية

وفي غده جاء في الوقت المذكور واخبرنا بان الملكة (1) إستدعتنا لملاقاتها في هذا اليوم ، فعين وقت الملاقاة في الساعة الثالثة فكان الامر كذلك ، فذهبنا لملاقاتها ، فتلقتنا بدارها ، بعد أن مررنا - بمشاوات (2) - على اشكال وقباب

---

1) كان على عرش انكلترا اذاك الملكة فكطوريا وهي من أعظم ملوك أوربا في القرن التاسع عشر حكمت أربعا وستين سنة من 1837 م الى سنة وفاتها في 1901 م . وكانت ولادتها سنة 1819 م . ولما زارت السفارة المغربية لندن كان سنها احدى واربعين سنة .

2) هذا الجمع غريب وانما يقال مشايات جمع مشاية وهي ممر في بستان بين الاشجار والازهار في الرياض والحدائق .

عديدة ، وبهن قوائم تعجبت من صفائهن وحسنهن ، وجلهن من المرمر ، على انواع ، فمنه ما هو ابيض ، ومنه ما هو اسود ، وهكذا ، والمرمر اعلا درجة من الرخام ، وفي هذا المحل ثريات مذهبة عديدة ، فلما دخلنا لمحل الملكة ، كانت جالسة على كرسي ، وحين راتنا قامت للقائنا بعد ان نزلت من كرسيها وسلمنا عليها وسلمت علينا ضاحكة ، وكل ذلك ايماء بحضرة قائد مشورها (1) ووزرائها وزوجها وكبير العسكر، ويسمى عندهم - صارى عسكر (2) - و - ميران البحر - وبنتيها ولها سمت حسن،وخلق مستحسن، واظهرت لنا المحبة والسرور ببركة مولانا المنصور ، وجعلت تسالنا عن احوال سيدنا المؤيد حفظه الله تعالى ، ثم سالتنا عن احوالنا ، وهل حصل لنا ميد (3) في البحر ، وهكذا ، ثم قالت ، اني فرحت بقدومكم ، وعلمت محبة سلطانكم نصره الله ، حين وجهكم الينا ، ونحن نجيبها بما يناسب ، فمكناها من كتاب مولانا امير المومنين ، ادام الله له النصر والتمكين ، فقبضته بملاطفة وادب ، وجعلته بين يديها تعظيما له ، واجلالا لجنابه العلي ، ومقامه السني ، وبمثل فرح الملكة ، فرحت بنا الدولة ، لان الرعية على قلب راعيها ، واما دارها فهي من العجائب ، مشينا في مشاوات متسعة ، مفرشة بالزرابي ، وكل ما تذهب شيئا الا وترى تماثيل على اشكال ، سود وبيض، وفيها قباب عظام -7- (4) كل واحدة مفرشة بلون من الديباج، فالاولى مثلا ، مفرشة كلها بلون اخضر، والثانية ازرق ، والثالثة احمر ، وهكذا كل واحدة معدة لما يناسب من الحوادث ، وفيهن سوارى واحجار رفيعة كالمرمر المنحوت ، وهناك سوارى من الابنوس ، وهذه القباب مطلة على بستان لها عجيب، فيها حيوانات كالدجاج الهندي، و - بلارج (5) - على انواع، والنسر،

---

1) قائد المشور : كان يطلق هذا التعبير على الشخص الذي يقدم الزائرين للسلطان . فهو بمثابة رئيس التشريفات - والمشور هو فناء القصر حيث ينتظر من يريد المقابلة أن يستشار السلطان في شأن اقتباله .

2) صاري عسكر : هو القائد ، الجنرال من الفارسية : سر عسكر بنفس المعنى .

3) الميد هو دوار البحر أي ما يصيب راكب السفينة من انزعاج في المزاج .

4) هكذا بالرقم ومقصوده سبع قبات عظام .

5) هو اللقلق وأصل الكلمة من اليونانية Pelargos

والطاوس ، وغير ذلك ، وفيه نهر بازائه قبة فيها مراكب للفرجـة ، ثم انفصلنا عنها الى محل نزولنا.

مأدبـة عـشاء عنـد الملكـة

وفي اثـره جـاء رسـولها يسـتدعينا للـمبيت عندها، واخبـرنـا الرسول ان هذه الليلة تستعملها الملكة من السنة الى السنة ، وقد وافق مجيئكم هذه الليلة فلا بد من الذهاب اليها ، فاجبناه لذلك ، وفي الساعة العاشرة من الليل ، ذهبنا لدارها ، فوجدنا عظماء الدولة هنالك مع نسائهم ، ووجدنا هنالك مـن الحراس و الحجاب والخدمة ، ما لـم نجده وقت الملاقاة ، ووجدنا ايضا مـن الاواني الرفيعة ، والثريات من الذهب والفضة ، والكراسي المفروشة بالحرير ، والمرصعة بالذهب ، مـا لا يحصى ، ولا يحد ولا يستقصى ، وذلك كلـه مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الدنيا سجن المومن وجنة الكافر». ولما طال جلوسنا ، واردنا الخروج من محلها ، فاستاذناها ، فطلبتنا للدخول لمحل الاكل ، فدخلنا ووجدنا فيه من الاواني وغير ذلك ، اكثر مما تقدم ، وذهبت معنا اليه ومعها جميع عظماء الدولة ، وجعلوا يمكنوننا بايديهم مما هو مباح اكله ، كالفواكـه وانـواع الحلاوي ، وامور يابسات ، فاستعملنا منهـا مـا تيسر ، وودعناها، وودعتنا هي، وعظماء الدولة، وخرج البعض من الكفراء (1) يتبعنا باذنها ، حتى ركبنا في ـ الكـروصات.

وصف عـسـكـر المدينة المحدث ايام الملكة فيكتوريا

وبعد هذا بايام وجهت وراءنا (2) بقصد رؤية عسكر المدينة المحدث ، احدثوه بهذه البلد في هذه السنة ، وسبب احداثه ، امور جرت بينهم وبين جنس ـ الفرنصيص ـ ليست من القوانين الجارية بينهم ، فلما راوا الامر كذلك ، اجتمع الديوان على ان يجعلوا عسكرا مخصوصابالمدينة ، فاتفقوا على ان يجعلوا مائة

---

1) الكفراء جمع كافر وهو جمع غريب غير وارد لا فـي الفصيح ولا في العامي وانما جموع كافر هـي كافرون وكفار بالضم ثم التشديد وكفار بالكسر وكفرة . ولعله قاسـه عـلى جـهـلاء .

2) وجه وراءه : استـدعاه وطلب حـضوره .

وعشرين الفا ، وكلهم من اعيان المدينة القائم بمئونتهم تجارهم ، من كسوة وعدة وغير ذلك ، ـ عدا ابندقة (1) والبارود ـ اذا حدث قتال فانه مخرج كله من عند المخزن (2) ، ووجدنا نحن من العدد المذكور مهيئا ستة وعشرين الفا ، فخرجنا لمحل هنالك متسع جدا بوسط المدينة ، وفي مرورنا راينا بناء بحجارة منحوتة صاعدا في الجو كالصومعة ، وعليه تمثال رجل متقلد لسلاحه (3)، ادعوا انه هو الذي تقبض على ـ نابليون ـ الكبير، سلطان طاغية ـ الفرنصيص ـ وذلك في قتال كان بين ـ الفرنصيص ـ و ـ النامسة ـ و ـ النجليز ـ باتفاق واجتماع الفريقين ، اعني النامسة والنجليز ـ على قتال الافرنج (4)، ورايت في برج آخر هنالك مثل هذه الصورة، الا انها زادت على الاولى بكونها على فرس نحاس ، واخرى راجلة بازاء بستان لهم ، ثم في وسطها ايضا ـ فوارات ـ ماء دائرة بتماثيل وتصاوير على حجارة منحوتة ، ثم ان طريق هذه المدينة وشوارعها متسعة ، وكلها مرصفة ، الا ان الوسط معد ـ للكروصات ـ والخيل والركاب ، والجانب من ناحية اليمين والشمال ، معد للرجالة (5)، وبينهما تمييز ظاهر، ورأيت في محل هنالك بالمدينة سقاية (6) ماء وباعلاها صورة الاسد ، حالا فمه يخرج الماء منه ، وينزل لتلك السقاية.

---

1) البندقة في الاصل هي ما كان يتخذ على شكل ثمر البندق من طين أو حديد أو زجاج ويرمي بالمنجنيق في الحروب قبل استعمال البارود . وهنا عبر بهذه الكلمة عن الرصاصة نفسها وسياتي له من بعد استعمالها بمعنى غلاف الرصاصة.

2) المخزن كلمة قديمة تطلق عند المغاربة منذ القرن الخامس على الدولة حيث انها المسؤولة على ادخار المال وخزنه في بيت المال وكذلك خزن الاقوات ونحوها ، وهنا يطلقها على الدولة الانكليزية وكذلك ص . 8 قبله .

3) يعني الجنرال الانجليزي الشهير ولنكطن Wellington الذي قهر نابوليون بونابرت في موقعة واترلو Waterloo سنة 1815 م حيث اخذ اسيرا ووجه الى جزيرة القديسة هيلانة توفي ولنكطن سنة 1852 .

4) يعني بالافرنج هنا الفرنسيين .

5) رجالة فصيحة لجمع راجل أي الذي لا مركوب له ويمشي على قدميه .

6) السقاية بتشديد القاف هي في الاصطلاح المغربي صهريج يتخذ غادة على الحائط ويزين بانواع الفسيفساء المسماة « زليج » وتكون له انابيب يتدفق منها الماء.

ثم وجدنا خشبا منصوبا على هيئة البرج فصعدنا اليه بقصد الاستعلاء، ولنتمكن من رؤيته جدا، فجلسنا مدة واذا بالمدفع ضرب، وخرجت الملكة راكبة في ـ كروصة ـ هي وزوجها وبنتاها، ووقفت بمكان يقرب من المكان القائمين به، ثم انها التفتت وراءها فراتنا ، ثم وجهت وراءنا عسكرا فذهب بنا نخترق الصفوف حتى وقفنا بازائها ، لانها امرت بذلك ، فسلمت وسلمنا ايماء ، ومكثنا واقفين نحو الساعتين وازيد ، وهي تسالنا ، هل عييتم ام لا ؟ ونحن نجيبها ـ ان لا ـ حتى تسرد العسكر (1)، ورأينا ترتيبا عجيبا، وأسلوبا غريبا، ربما اندهش رائيه ، وهال بغتة ملاقيه ، وهذا العسكر الجديد تميز عن العسكر القديم الآتي ذكره ، فمما تميز به أن ارباب موسيقى هذا العسكر لهم ابواق عظام، وـ اطبال(2) ـ كذلك ، ويتشكلون في اللباس ، وعدتهم احسن من عدة العسكر القديم ، فمنه من هو لابس للملف (3) الازرق، ومنه من هو لابس الاحمر، ومنه اللابس للاخضر ، ومنه اللابس نصفه الاعلا اسود ، والنصف الاخر ابيض ، ومنه اللابس نصفه الاعلا احمر ، والباقي اخضر ، وهكذا ، ثم جعلوا يتقدمون امام الملكة ـ صفين ـ في كل صف خمسون، يتقدم مع الصف الاول سيافان (4)، راكبان على فرسين ، فاذا قابل الملكة سلم عليها باشارة ، ووراء الصف الثاني اربعة من السيافين ـ على ارجلهم ، واربعة آخرون على خيولهم وهكذا حتى يكمل الالف ، فاذا كمل

---

1) تسرد العسكر أي استعرضته الملكـة .

2) أطبال جمع طبل وهو الآلة المعروفة وهي عبارة عن شبه صندوق فـارغ ومقفل من جهتين يجلد ويضرب عليهما بقضيب من عود . والجمع المستعمل عـادة هـو طبـول وبالمغرب طبولـة .

3) الملف ثوب ناعم من صوف كان أساس لباس المغاربة في فصل الشـتـاء يتخذون منه القفاطين والسراويل والجلاليـب والسلاهيم ونحوها الرجـال والنساء ، وكان في القديم يصنع بالمغرب والاندلس ثم صار يجلب من أوربا ويـظهر أن أصـل الكلمة من أمالفـي Amalfi وهي مدينة ايطاليـة .

4) السياف حامل السيف وهي عربية فصيحة ولاكن اذا أطلق لفظ السـيـاف يراد بـه غالبا المكلف بضـرب أعناق الجناة المحكوم عليهم بالاعدام .

انوا ارباب ـ الموستات ـ الالـف ، وسامتوا الملكــة وهــم يضربـون فــي ـ موسقاتهم ـ امامها ، حتى ياتي الالف الثاني ، وينتهي ، وارباب ـ الموسقة ـ تابعون له ، فاذا قربوا مــن الملكــة ، ذهب اربــاب ـ موسقــات الالــف الاول ، واستقبل الملكة ارباب ـ موسقات ـ الالف الثاني ، ولا زالوا يضربون حتى يمر الالف الثالث ، وضرب ارباب ـ موسقاته ـ بعد مرور اصحاب الالف الثانــي .

وقد راينا ممن يضرب ـ الموسقة ـ ما ينيف على المائة والخمسين ، وجلهم احداث، وهكذا حتى انتهى العسكر الرجلي، فلما انتهى اتبعه الخيالة(1) صفين صفين ، في كل صف خمسون ، بعد تقدم كبيرهم ، وكــل مــائة على شكــل ، فالمائة الاولى كلها بيض ، والثانية كلها زرق والثالثة شقر ومن المئين ما هو شقر وقوائم فرسه ابيض، وتابعها (2) كذلك،ولباس اهلها على اشكال، وكذلك سلاحهم و ـ شمارير هذا العسكر (اباده الله)على اشكال ، فمنها مــا هــو كالقلنســوة أسود مذهب، وهذا لعظمائهم الخيالة، ومن الخيالة من يجعل مكانه طاسة (3) ـ شبيهة بالبيضة (4)، اما من نحاس او فضة أو ذهب، كل على قدر مرتبته ومزيته، ومنهم من لباسه الاعلا من حديد، وأما الرجلية(5)، فمنهم من يجعله كالطربوش المعروف، الا أن في وسطه كورة(6) (كذا) ومنهم من يجعله من جلد الكرس (7)

---

1) الخيــالة : الفــرســان .

2) التــابــع هــو الذيــل .

3) الطاسة انــاء صغير من معدن كالنحاس والفضة مستدير الشكل يجعل فيه غالبا الماء لعــدة استعمالات خصوصا في الحمام حيث تأخذ بــه النساء الماء مــن القب لكبه عليهن . وأصل الكلمة طس من الفارسية حيث صــار « طست » في العربية بابدال احد السينين تاء . ومنه كذلك « طــاس » باللغة العامية المغربية للاناء الــذي تغسل فيه الايدي قبــل الاكل وبعده .

4) البيضة هنا هي الخوذة التي تجعل على الرأس للتوقي من ضربات السيوف والقـنـــابــل .

5) الرجلية في الاصطلاح المغربي مرادف الرجالة انظره ء

6) الكورة يعني بهــا الكرة على حد تعبير المغاربة ويطلقونها على كرة اللعـب وعلى القنبلة المستديرة التي تجعل في المدفع وعلى كل ما كان من الاشياء مستديـرا .

7) لــم أهتد الى الاسم الافرنجي لهذه الكلمــة .

والكرس ، حيوان اسود ، له ضراوة كضراوة الاسد ، ولعله نوع منه ، فلما انقضى العسكر وارادت الملكة أن تذهب، تكلم(1) المدفع، وأزال الجميع شماريرهم ، وجعلوا يصوتون باصوات هائلة ، ووقف من كان جالسا ، وكل ذلك اشارة السلام على ملكتهم ، والفرح بها ، والدعاء لها ، فمضت الملكة ومضينا لحال سبيلنا ، والله يهلك القوم الكافرين ، وينصرنا عليهم ، آمين.

استعراض الملكة للجيش بمحضر السفارة المغربية

ثـــم بـعـد هـذا بـايـام وجـهـت وراءنـــا الـمـلـكـة بقصد رؤية العسكر القديم وهو خارج المدينة وله خزائن (2) ، هنالك ركبنا فـي ـ بابور ـ البر نحو الساعة ـ مجانيــة ـ فلما وصلنا وجدنا الملكة هنالك ، راكبة على فرس اشقر ، فلما راتنا سرت بذلك غاية ، واعطتنا السلام، وجعلتنا بأزائها، فتسرد العسكر مثل ما تقدم ، وبعد مرور الالف يقف ارباب ـ موسقاته ـ مثل ما تقدم ، الا ان هؤلاء ارباب ـ الموسقة ـ ادون مرتبة من الاول المتقدم ، باعتبار لباسهم وباعتبار آلاتهم ، وكل الف من هذا العسكر يتبعه عدد من المدفع محمول على ـ كراريط ـ تجرها خيل جياد، وتتبعها ايضا كراريط (3) خاوية ، بقصد حمل الجرحى والقتلى ، وبعض ـ الكراريط ـ حاملة لآلات عظام مــن الخشب ،

---

1) تــكلم المدفــع : سمع لــه صوت عنــد اطلاق النار ويقال للرعد وللصلوات الخمس (تكلم الفجر والظهر) أي سمع المؤذن ينادي لصلاة الفجر أو لصلاة الظــهــر أو لــغــيــرهــمــا .

2) خزائن جمع خزانة والخزانة في اللغة العامية المغربية هــي الخــباء المنمق الجميل الذي يتخذه اهل المدن عندما يخرجون للنزه في الباديــة ورجال الــدولــة والملوك عندما كانوا يسافرون وهي انواع . وتجمع على خزاين وخزانات . امـــا أخبية اهــل البرادي فهي التي يطلق عليها اسم خيمة .

3) كراريط جمع عربي للفظة كريطة الاسبانية Carreta (كاريطــة) وهـــي عربة ذات عجلتين لحمل الاحجار والاسلحة الثقيلــة ونحوها ، ويقــال فيهــا كــذلك تعريبــا قريــطة وقــراريــط .

وباطراف الخشب مخاطيف (1)تضرب بالارض فاذا مروا بواد (2) مثلا وضعوا تلك الالات عليه كالقنطرة يمرون عليها، بحيث اذا رآها الرائي يجزم أنها قنطرة مبنية، وكل واحد من هذا العسكر حامل لفراشه، وآنية أكله وشربه وزاده ، ومنه من هو حامل للشواقر (3) مغلقة في جلد ، ومنه من هو حامل ـ للخنانيش (4) ـ والفؤوس، في غلافها أيضا من جلـد .

مناورة حربية بعد الاستعراض بامر من الملكة

ثم لما فرغت الملكة من سرد العسكر ، امرتهم ان يستعملـوا كيفيـة من كيفيات حروبهم بحضرتنا ، فتكلم بعضهم في ـ الموسقة ـ وتفرق الجميع على ستة انحاء، حتى صارت مسافة ما بين الجميع نحو النصف ميل (5)، أو ما يقرب منه، وجعلت كـل فرقة مقابلة للاخرى على هيئة القتـال ، وكـل فرقـة بمدفـعها و ـ كراريطها ـ وجعلوا يضربون البارود بالمدافع المعروفة عندنا بالمكاحل (6).

---

1) جمـع مخطاف وهو آلـة من حديـد عبارة عـن قضيب معوج الـراس ويكون احيانا ذا راسين معوجين أو اكثـر تجتذب بـه اشيـاء بعيدة أو صعبة الملمـس لحرارتها أو نحو ذلك ، والمخاطيف المذكورة هنا تستعمل لا للجذب ولاكـن للاثبات في الارض حيث تدخل تلك الرؤوس فيها ـ انظر التعليق (6) ص.23 ايـضـا.

2) واد في اصطلاح الاندلسيين والمغاربة هـو النهـر من الـوادي أي ما بين جبلين لان كل أودية هذه البـلاد تجري فيها الانهـار .

3) الشواقر جمع شاقور وهو سكين عريضة يقطع بها الخشب ونحوه . وتستعمل كذلك في الحـروب . وفـي الفصيح الساقور بالسيـن المهملة حديدة تحمى ويكـوي بـهـا الحـمــار .

4) الخنانيش جمع خنشة وهو جمع غريب اذ لا يعرف الآن الا خنشات وخناشي (كما ورد في هذه الرحلة ص.35) والخنشة وعاء مـن ثوب لحمل الـدقيق والقمـح وما شابههما والاصل من اللفظة العربية الخشاش للجوالق من مادة خش دخل فـي الشيء وقد حل الادغام في العامية وعوضت الشين الاولى بنون ـ وكثيرا ما يـقـع هذا في لغتنا العامية وذلك نحو اجاص بتشديد الجيم الذي صار انجاص للكمثرى .

5) انظر التعليق (6) ص. 9 .

6) المكاحل جمع مكحلة وهي ما يسمى اليـوم البندقية تشبيها لها بآلـة كانوا يرمون بها البندق في صيد الطيور . اما المكحلة فانها كلمة قديمة كانت تطلق علـى آلـة تقذف بها الاحجار ثم على آلة لقذف مواد محرقة وعندما اخترع الرصاص والمواد المتفجرة سمي السلاح الذي يقذفهـا مكحلة .

فاذا وقعت ـ الكسرة (1) ـ على جماعة، اتى المكلفون بالمدافع العظام، وانزلوها من ـ الكراريط ـ في اسرع مدة وضربوا بها فتتقوى به تلـك الفرقـة التي وقعت ـ الكسرة ـ عليها فتثبت ، ثم ان فرقة وليها وادي (كذا) هنالك ، فاتى بعـض العسكر بتلك الآلات العظام المتقدمة الذكر ، وانزلوها من ـ كراريطها ـ وركبوا بعضا لبعض ـ بالانثى والذكر (2)، حتى صارت كهيئة القنطرة المبنية في لحظة، فمر بها العسكر والخيل و ـ الكراريط ـ وغير ذلك .

ثـم ان فرقة اخرى كانها سمعت الصريخ وصحبهم العدو بها مثلا بغـابـة هنالك ، ففزعت اليها ودارت بها دور الخاتم بالاصبع ، في اسرع مدة ، وشرذمة منهم على خيولهم اثرهم مستفزة ، ونحن نظن الظنون ، ونرتقب ما يكون ، وصمت الناس ، وحدقت الابصار ، واصاخت الاسماع ، والناس ينظرون ، فما هو الا ان توالى ـ البارود ـ حتى فنيت اعلامها ورسومها ووسطها ، وذهب عينها وآثارها ، وصفقت الايدي احتجابا ، وتغامزت الاعين استغرابا ، وجعلت تضرب ـ البارود ـ حتى اظلم الجو هنالك كهيئة القتال ، حتى ما كنا نرى شجرا ولا حجرا ولا مدرا وغير ذلك مما لا يكيف، الانسان ، وربما عجزت عن تقييده البنـان .

والحاصل ، انهم ـ دمرهم الله ـ يستعملون اشياء تدهش ، سيما من رآهـا فجاة ، وربما اختل مزاجه من اجل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، كيف تحيلوا على اصلاح دنياهم ، حتى ادركوا منها مناهم ، واستعملوا لذلك قوانين وضوابط ، وفي كل ما يقربهم منها غوابط ، وفيه اشارة الى ان طيباتهم عجلت لهم ، وذلك نصيبهم وحظهم ، وفيه اشارة ايضا الى ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ، قال عليه الصلاة والسلام: « لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء»، والله يحفظ بيضة (3) الاسلام ، ويحميها من كل مكروه ، بجاه نبيه عليه السلام .

---

1) الكـسرة : الـهـزيمـة .
2) يقال لكل مصنوع من خشب او حديد او نحوهما يدخل جزء منه في جـزء آخـر فيلتحمان ويقال كذلك الذكر والانثـى .
3) بيضة الاسلام : حـوزتـه وحمـاه .

امين امين لا ارضي بواحدة   حتى اشفعها بالف امين

تكميل

جميع ما يصار على العسكر في كل سنة ثلاثة عشر مليونا من الريال (1) وعدد العسكر البري الذي عندهم ثلاثمائة الف ، كما اخبرنا هنالك من له خبرة ، ثم رجعنا لمحلنا ووجهت الملكة معنا بعض العسكر ونحن راكبون في ـ الكروصات ـ حتى وصلنا لدار عظيمة ، فامرنا الوكيل بالنزول فنزلنا ودخلناها فوجدناها من الديار المنتخبة وهي خارج المدينة بالبادية مصنوعة من خشب وزاج، وفيها من انواع الفرش والأواني مثل ما تقدم وصفه، ووجدنا انهم بذلك المحل، هيئوا لنا طعاما كالحوت (2) والمشوي وانواع الفواكه من بطيخ

---

1) ريال كلمة اسبانية Real معناها ملكي وهي اسم عملة ادخلت في النظام المالي المغربي اخذا عن اسبانيا وبقي في نفس الوقت العمل جاريا بالنظام القديم الذي كان يرتكز على الموزونة . ويقال لها ايضا وجه وهي وحدة حسابية ولم تكن قط قطعة بقدر الموزونة وانما كان هناك سدسها وكان يساوي اربعة فلوس اذ الموزونة تساوي اربعة وعشرين فلسا . وكان الثمن فلوس (اي ثمانية فلوس) وضعفه سطاشل فلس وهي اصغر قطعة ادركنا المعاملة بها أيام الحرب العالمية الاولى وضعفه موزونة وثمانية . وثلاث من هذه القطعة هي الدرهم ويقال له أوقية كذلك . وعشرة دراهم هي المثقال . فلما ادخل النظام الاسباني جعل البسيطة هو الوحدة الحسابية وكذلك لم تكن لنا قطعة قيمتها بسيطة . وانما الذي كان عندنا القرش وقيمته سبعة دراهم والحسني وقيمته قرشان وهو اختصار للدرهم الحسني نسبة لمولاي الحسن بن محمد رحمه الله وربع ريال ونصف ريال . وريال وهو عشرون قرشا ، وكل هذه القطع من فضة على حين كانت القطع القديمة من خليط معدني أسود . وبما أن الريال كان يساوي خمسة فرنكات ذهبية أي 1250 من الفرنكات الحالية تكون قيمة هذه الملايين الثلاثة عشر تساوي اليوم 000 500 162 من الدراهم . وهو شيء طفيف بالنسبة لجيش يتركب من ثلاثمائة الف من الجنود الا أن يكون المقصود ما يصرف عليه شهريا . أما المليون فهو معروف وكان العرب يعبرون عنه بالف الف .

2) الحوت : هذه اللفظة تطلق في اللغة العربية على السمك سواء كان كبيرا أو صغيرا كما تنص عليه كتب اللغة (انظر المعجم الوسيط حيث قال : الحوت السمكة صغيرة كانت أو كبيرة) وكما هو استعمال القرآن الكريم حيث ورد لفظ الحوت أربع

(1)وخوخ ولوز وغير ذلك، فاكلنا واسترحنا مدة وطلينا، ثم ركبنا قاصدين محل – البابورات – البريه حتى وصلناه، فنزلنا من – الكروصات – ثم بقينا مدة قليلة، ثم ان الملكة اقبلت، فركبنا وركبت في – بابور – واحد وسرنا الى محل نزولنا.

وصف حـديقـة الـحيـوان

وبعد هذا بايام ، وجهتنا الملكة لبستان لها بالمدينة ، فذهبنا حتى وصلنـا لبابه ، وبابه مشتملة على قباب متعددة ، وبها رجل من عظمائهم واقف هنالك لا يترك احدا يدخل الا باذن الملكة ، او اعطى عددا معلوما عندهم من احد النقدين ، فدخلناه فراينا فيه من الحيوانات البرية والبحرية العجب العجاب ، ومـا حيـر العقول والالباب ، فمن الحيوان الطائرى ، الباز ، والنسر ، والطاوس ، والنعام ، وغير ذلك الى – البرطال (2)– المعروف، وهنالك طائر راسه مثل رأس الذئب، وله جناحان ، ياتون به من محال بعيدة ، وكل حيوان مـن هذه الحيوانـات مكتوب بالمحل الذي هـو فيه في خشبة ، من اين اتى بـه ، يقولون : هذا اتى بـه مـن – مريكان (3) – وهذا اتى به من – وادنون ، وغير ذلك من الامكنة البعيدة ،

مرات مفردا ومرة جمعـا – وبمعنى السمك الصغير ثلاث مـرات (مرتين فـي سورة الكهف ومرة في سورة الاعراف) وبمعنى السمك الكبير مرتين (في سورة الصافات وفي سورة القلم) والمشارقة يخصصون هذه اللفظة للحوت الكبير . أما المغـاربـة فانهم لا يستعملون الا لفظة الحوت للنوعين ولا يقولون في مخاطباتهم السمك مطلـقا وهي عربية فصيحة كذلك وان كانت لم ترد في القرآن الكريم .

1) البطيخ نوع من اليقطين أصفر اللون يسمى عند المشارقة الشمام ويطلقون لفظة البطيخ على ما يسمى في العربية الفصحى وعندنا بالمغرب دلعا كمـا ينطـق صوابا في بعض نواحي المغرب وفي المدن حرفت الكلمة الى دلاح .

2) البرطال : العصفور وأصل الكلمة من الاسبانية Pardal وتجمع على بـرالطـل .

3) ميركان : الاميريكان – وذلك أن المغاربة كثيرا مـا يحذفون الهمزة مـن الكلمات اذا كانت أولا وسواء كانت عربية أو عجمية ، وقد تقدم ميران بمعنى أميرال ويقال في المثل المغربي : انا مير وانتينا مير ومن يسوق هذا الحمير – أي أنـا أميـر وأنت أمير ومن يسوق هذا الحمير والمقصود هنا القارة الامريكية .

ومن الحيوان البهيمي، الفيل، والاسد، والجمل، الذي له سنامان، والنمر، والضبع والاسد على نوعين ، احدهما المعروف عندنا ، وآخر عظيم اسود اللـون ولـه ضراوة كضراوة الاسد المعروف ، ويسمونه هناك ـ بالكرس ـ ورايـنـا هنالـك حيوانا عظيما هائل الخلقة له هامة عظيمة جدا ولا وبر له،قالوا انه خيل البحر(1) واستعملوا له بركة من ماء هنالك يدخل فيها وهو ملازم للماء لا يخرج الا للاكل ، ورأينا هنالك حيوانات مصبرة(2)، وطيورا كذلك، اشتروها بثمن عظيم لغرابتها، ورأينا القردة على انواع ، ومن الحيوانات البحرية الحوت العظيم ، والصغير والسلحفاة ، والضفادع ، وغير ذلك ، كل واحدة منها لها محل فيه الماء ، وكل نوع من هذه الحيوانات يستعملون له قبة ، فما كان من جنس الطير جعلوا له قبة من سلك ، وما كان مـن جنس السبع ، وكـل مـا له نـاب كالفيل والاسد و ـ الكرس ـ والزرافة ـ استعملوا له قبة من طين وآجر او حديد ، وما كان من جنس ما يكون الغالب في الماء استعملوا له بركة صغيرة فيها ماء وعليها قبة زاج غليظ ، وهكذا .

غـريبـة

رايت حيوانا عظيما على هيئة الزرافة يسمى عندهم ـ باللين (3) ـ له أحد عشر قرنا صاعدة في الجو مثل الشجرة، وحيوانا (4) آخر على هيئة الغزال له اولاد صغار يدخلن في غلاف لازق ببطنها فاذا مـرت دخلن في ذلك المحـل ولا يظهرن ، والحاصل ، ان في هذا البستان من الحيوانات العظام وغيرها من صنوف الطير وضروب الحيتان من البلاد النائية ، والنحل المختلفة ما لا يحصى كثرة ،

---

1) خيل البحر يعني به الحيوان المسمى بالفرنسية Hippopotame وهـو في الحقيقة فرس النهر (من اليونانية ايبوس : فرس وبوطامي : النهر) .

2) مصبرة ـ من صبر الجثة : صنع بها ما يحفظها على هيئتها ويقيها الفساد الى وقت ما لانهم كانوا يستعملون قديما الصبر لـذلك. ويقال اليوم حنط ـ وخـصص التصبير عندنا لحفظ الفواكه والخضر والحوت ونحو ذلك من الماكولات.

3) يعني حيوانا يسمى بالانكليزية Eland وبالفرنسية Elan وهو الايل

4) المقصود به الحيوان المسمى اليوم كنغر من لفظة Kangourou الاعجمية.

ولو حاول الانسان احصاءه المرة بعد المرة وتعريف كل على حدته واسمه لكان مما يعسر ويستدعي طولا كثيرا ، ومنها ما عرفناه ومنها ما لم نعرفه ولعل الدميرى في حياة الحيوان يلم باسمائها وبيانها وبخواصها والله اعلم .

وصف معامل السلاح

ثم بعد هذا بأيام، ذهبنا ـ لفبركة(1)ـ المدفع، و ـ الكور ـ و ـ البنب(2) ـ و ـ الخفيف (3) ـ و ـ الحبة (4) ـ و ـ انطكيات (5) و ـ كراريط ـ المدفع، من الحديد والعود وادخلونا لمحال عديدة بقرب هذه ـ الفبركة ـ

ورأينا محلا منها طوله ميل وعرضه كذلك ، وهو مملوء الى سقفه بالكراريط العظام ، والوسط والصغير على أنواع وهي اما من حديد او من نحاس او من خشب ، ومثله مملوء بالصوارى الجداد على انواع ، ومثله مملوء بمخاطيف المراكب(6) جداد أيضا، على انواع، ومثله مملوء بالخشب القديم ، في عرضه ثلاثة امذار ، ولكنه قصير ، ومحل آخر مملوء بالقطع من الحديد

---

1) كلمة اسبانية Fabrica للمصنع .

2) البنب اسم جنس ماخوذ من الكلمة الاسبانية بمبة Bomba وهي القذيفة التي تجعل في المدفع .

3) الخفيف هو الرصاص تيامنا وابتعادا عن اسمه الاصلي لانه يوحي بمعاني الثقل والضرر . ونجد هذا التبديل عند المغاربة في كلمات كثيرة . فمنهم من يسمى صلاة العصر « الساهل » (أي السهل) لان لفظة العصر تشبه في النطق العسر وكذلك يسمى الفحم « الفاخر » ابعادا للفظة التي توحي معنى السواد وهكذا.

4) الحبة : كريات صغيرة من الخفيف تجعل الواحدة منها تحت الزناد في البندقيات القديمة فعندما تدق تشتعل فينفجر البارود .

5) انطكيات جمع انطاكو : لم أهتد الى معنى هذه الكلمة وأصلها والذي يظهر لي أنه عنى ما يسمى طاكا Taca بالاسبانية مع علامة التنكير في اولها أونا طاكا فلما سمع اسمها من الترجمان الذي لاشك كان يترجم الكلمات الانكليزية التي لا يعرف مقابلها العربي الى الاسبانية توهم أنها كلمة واحدة ، وطاكا بالاسبانية عبارة عن قطعة من الفولاذ تدخل في تركيب عدة آلات.

6) مخاطيف مفرده مخطاف وهو المرساة في اصطلاح المغاربة . ولتخصيصها بهذا المعنى قال : مخاطيف المراكب .

لاقامة المراكب من كل شيء شيء .ولا يتحدى عدد ذلك الا الله ، ومحل هنالك معلوء بالخشب الجديد الحادث وغيره ، وهذه ـ الفبركة ـ مشتملة على فبركات ـ كثيرة ـ ففبركة ـ فرغ المدفع وحدها ، و ـ فبركة ـ ثقبه وحدها ، و ـ فبركة ـ صقله وحدها ، وهكذا ، وكل صنعة من هذه الصنائع لها مكينة يستسهلون بها الصعب ، ثم انا رايناهم ياخذون ثلاثة من الرجال القطعة من الحديد ، ليجعلوها في بيت النار(1) حتى تلين، فيخرجونها من النار بآلة، وتخرج علىهيئةـ الجائزة (2)ـ في الطول، فتجعل على قالب المدفع، فيدور بدوران المكينة، وذلك القضيب من الحديد يدور على القالب ، فيخرج منه بثالة ، ويجعل تحت مطرقة عظيمة مرتفعة في الهواء تنزل ـ باكركة (3) ـ وهذه المطرقة لا يضرب بها الا ضربتين أو ثلاثـا ، لكثرة ثقلها ، وتضرب عليه بالمكينة ليتلاقى الفصل الذي بين الدائرة ، فاذا تلاقى وفرغ منها دفع ـ لفبركة ـ تبريم(4)ـ داخله ثم لمن يثقبه ثم لمن يصقله وهكذا، وأما ـ الكور ـ فيطبخ حديده في محل مثل ـ كوشة(5)ـ الآجر العظيمة

---

1) بيت النار في الاصطلاح المغربي هو المحل من الفرن الخاص بطبخ الخبـز الذي تحمى فيه النار في ناحية ويجعل الخبز في الناحية المقابلة ـ وهنا يـطلقه على محل النار في أي فـرن كـان .

2) الجائزة تنطق في العامية بالجيم المصرية فيقال الكايـزة ، وهـي فـي الفصيح الجائز بالتذكير وهي الخشبة المعترضة بين الحائطين في سقـف القـاعات من الدور وعليها تنزل الالواح التي تحمل الحجر والرمل او نحوهما

3) اكركة : جمع عربي لكلمة Cric وهي بالانكليزية Lifting Jack أي حرفيا « يوحنا الرافع » ولفظة Jack تصغير John (يحيى) وهم يستعملونها في تراكيب كثيرة في لغتهم وهذا دليل آخر على ما قلناه من أن الترجمان يستعمـل كلمات غير انكليزية يظنها معتادة عند المغاربة ليقرب لهم المعنى ، ومعنى الكريـك هنا هو الالة التي ترفع بها الاثقال من نوع ما نسميه البوجي Grue في المراسي وهي نفس اللفظة للالة المسماة اليوم العفريت لهز هيكل السيارة عند ارادة اصلاح الـعـجـلات .

4) التبريم التدوير ، وأصل الكلمة من البرم الذي هو الفتل .

5) الكوشة هي فرن الجير والفخار والكلمة من أصل لاتيني من فعل Coquere أي طبـخ ومنـه Cocina بالاسبـانية التـي أعطـت كشينـة للمطبـخ فـي مـدن الشمال المغـربيـة .

جدا اولا حتى يكون مثل الماء ، ثم يخرج ويكب في آنية ـ كالقب ـ ثم منها الى القالب ، بعد ان يجعلوا فيه شيئا من الرمل الرقيق جدا .

ثم تدفع لمن ينفخها ويزيل الزوائد منها ، ثم لمن يصقلها ثم لمن يعمرها وبعضه يقسمونه على نصفين، فيعمر كل نصف على حدته ـ بالوشاك(1)ـ وكيفية تعميرها انهم يجعلون أولا فيها ـ بارودا ـ ثم بوسطها ـ الشرشمة(2)ـ ثم يدفع لمن يجعل له ـ انطاكوا(3)ـ وأما ـ فبركة ـ الخفيف، فلهم محل مثل ـ برمة(4) ـ الحمام الكبيرة بقصد أن يذوب فيها ويؤخذ من ـ البرمة ـ قادوس(5) مار في وسط ماء محمي يخرج من القادوس لمحل هناك آخر قدر الاصبع لتقطع منـــه الخفيفة (6) ـ بفبركته ـ الداخل لها ، فتخرج البندقة على هيئة ـ البلوطة (7) ـ وجوفها معمر ، ثم يدفع العدد منه ، لمكينة اخرى لتفريغ جوفه فيخرج كالحلقة ، ثم يدفع لمن

---

1) الوشاك يقصد به هنا آلة ينقل بها ما كان كالحبوب وكطين البناء وتسمى المرفشة . والوشاك والوشك في الاستعمال المغربي هو سلك من حديد يلوي فوق بعضه ويضغط عليه فاذا رفع عنه الضغط انطلق وحرك ما هو متصل به ويسمى في اللغة التقنية العربية زنبرك بضم الزاي والباء بينهما سكون وفتح الراء واسمه بالفرنسية Ressort

2) الشرشمة : ما يجعل في الاسلحة النارية ليتفرقع بشدة وأصل الكلمة من الفارسية : سرشام وقد عربت الى سرسام وهو ورم في حجاب الدماغ تحدث عنه حمى شديدة تسبب اضطرابا شديدا يبلغ الى الجنون . هذه الكلمة لازالت مستعملة في العامية المغربية للدعاء على شخص فيقال : الله يعطيه شرشام بشينين ولاكن لا يعرف معناه بالضبط ـ واليوم تطلق لفظة شرشمة مصغرة (شريشمة) على الرشاشة الصغيرة : Mitraillette

3) انطاكو : انظر انطكيات تعليق (5) ص. 23 .

4) البرمة في اللغة قدر من حجارة وبرمة الحمام تطلق في اصطلاح المغاربة على الحرض الذي يصب فيه الماء الحار ويكون في القاعة القصوى داخل الحمام .

5) القادوس ويجمع على قواديس هو القناة من فخار أو من معدن لنقل الماء تحت الارض من مكان لآخر وله معان أخرى وهو من الدخيل وأصل الكلمة من اليونانية .

6) الخفيفة الرصاصة انظر تعليق (3) ص. 23 .

7) البلوطة ثمرة شجر البلوط المعروف وهو بتشديد اللام من الفصيح .

يعمر جوفه اما بالزاوق (1) – او – بالبارود – ثم يسد فمه بقشر الدبغ بعد تلطيفه و – تحديقه – واما الدبة فتكون اولا قطعة من نحاس

ملطفة ، ثم تجعل في – المكينة فيخرج العدد منه على هذا الشكل ، ✚

ثم تجمع رواشيها (2) وتعمر – باسبرط (3)– واما القرطاس (4) الذي يكون فيه – البارود – والبندقة، فراينا لهم بركة ماء يجعلون فيها الخرق الخلقة المتلاشية حتى تختمر مع بعضها بعضا وتصير كالعجين، ثم يحمل منها شيئا فشيئا ويجعل على قالب على قدر القرطاس ثم يخرج منه ويدفع لييبس ، فاذا يبس دفع لصبيان مجتمعين لاجل هذه الصنعة نحو اربعمائة ، يعمرونه – بالبارود – و – البندقة – فيتخرج من ذلك آلاف الآلاف ، في ربع ساعة ونحن واقفون ننظر ذاك ، ثم ان عدد الرجال العملة القائمين بهذه الصناعات ستة آلاف، واجرة المعلمين(5)في كل يوم ريال ونصف (6)، والمتوسط نصف ريال (6) او نصف وربع (6)، والمتعلم (7)

---

1) هذه اللفظة التي تعني الزئبق تنطق عادة زاوق .

2) لم اهتد الى معنى هذه الكلمة .

3) كلمة اسبانية Espiritu معناها : المادة المسماة Fósforo التي تشتعل ومنها تصنع أعواد الثقاب المسماة بالمغرب : وقيد لذلك يقال في الغالب Espíritu de fósforo

4) القرطاس : يطلق هذا اللفظ في المغرب على قذائف الرصاص التي تجعل في المسدسات والبندقيات واحدته قرطاسة ، من الاسبانية Cartucho

5) المعلم : انظر تعليق (7) بعده .

6) ريال ونصف يساوي اليوم 1875 فرنك .
نصف ريال = 625 فرنك .
نصف ريال وربع = 937 فرنك .
ربع ريال = 312 فرنك .
عشرون مليونا من الريال تساوي اليوم : 25 مليارات من الفرنكات .

7) المتعلم في اصطلاح المغاربة هو الذي يتدرب على حرفة واذا ترقى في مهنته سمي الصانع واذا استقل بعمله صار يسمى المعلم – وتطلق لفظة المتعلم كذلك على الخادم .

ربـع ريـال وحاصل صائرهـا (1) فـي العـام عشرون مليونـا من الريـال (ص20/ص28) وعدد ما يصنع في كل شهر من المدفع اربعمائة، ومن ـ الكورـ الكبير، والمتوسط والصغير ، في كل جمعة (2) عشرون الفا ، كما اخبرنا بهـذا من هنـالك ممـن لـه خبـرة .

(عـجـيـبـة)

رأينا هنالك مهاريس (3) عظاما قالوا أن وزن كل واحد ألف قنطـار ، وـ البنبة (4)ـ التي تكون فيه وزنها ثلاثون قنطارا ، وما يجعل في داخلها من ـ البارود ـ أربعة قناطير ، وما تخرج به سبعون رطلا، ومقدار مشيها(5) خمسة الاف وأربعمائة ذراع(6)، وكذلك وجدنا مقيدا عليه هذا العدد ، لكن استغربنا كونه يبلغ هذا القدر، ورأينا هنالك مدفعا غريب الشكل احدثوه قريبا يعمر من ـ قاعه(7)ـ وهو متوسط ليس بالكبير ولا بالصغير، قالوا وزنه عشرة قناطير من غيرـ كريطة(8)ـ وـ الكريطة ـ تقرب لوزنه وـ كورته ـ (كذا) تزن عشرة أرطال ، ومقدار مشيها ميلان ونصف الى ثلاثة (9)، وثمن ما يباع به ثلاثمائة

---

1) الصائـر : ويقال الصاير هـو ما يصرف علـى تسييـر المنـزل أو مـعـمل أو حرث أو غير ذلك وفي النظام المـالي القديم كـان الموظـف المكلف بحسابـات المصاريف يسمى امين الصاير

2) الجمعة تطلق في اللهجة المغربية على الاسبـوع .

3) مهاريس جمع مهراس ويقال في العامية مهراز ، وهو فـي الاصل الهارون الآلة التي تدق فيها الحبـوب والابازير ونحوها . ويطلق على نـوع مـن المـدافـع يقذف القنابل المستديرة لان شكله يشبه المهراس .

4) البنبة واحدة البنب انظر تعليق (2) ص. 23.

5) المشي هنا هو مدى ما تبلغه القذفة « Portée بالفرنسية » .

6) خمسة الاف وأربعمائة ذراع تساوي 2592 من الامتـار.

7) القاع هنا بمعنى مؤخر الشيء واسفله يستعمل بمعنى اقصاه من الداخل يقـال قـاع الدار وقاع الدرب أي الزقاق .

8) الكريـطة : انظـر تعليق (3)ص. 17.

9) بما أن الميل عنـده الـف ذراع فيـكون مقدار « مشيهـا » : 2400 مـن الامتـار الـى 2880 .

ريال (1) و ـ كريطته ـ كذلك ، والامر لله ، نعوذ بالله من شرورهم وشـرور غيرهم، وجعل كيدهم في نحورهم ، اميـن .

والحاصل ، انهم اتبعوا انفسهم اولا في ادراك المسائل النظريات ، وكابدوا على تحصيلها حتى صارت عندهم ضروريات ، ولا زالوا يستنبطون بعقولهـم اشيـاء كثيرة ، كما احدثوا ـ البابور ـ و غيره .

سـبـب اكتـشـاف الـقوة البخـاريـة

وسبب احداثهم له، ان صبيا كانت بيده ناعورة(2) صغيرة من ـ كاغيد ـ فجعلها متصلة بجعب (3) في فـم ـ بقـرج (4) ـ على نـار ، وبعد اشتداد غليان الماء فيه ، فجعلت تدور بقوة ذلك البخار فرآه رجل فتعجب واستنبط هذا ـ البابور ـ المعروف بعقله الظلماني، لان العقل على قسمين، ظلماني ونوراني، فالظلماني به يدركون هذه الاشياء الظلمانية، ويزيدهم ذلك توغلا في كفرهم ، والنوراني به يدرك المومن المسائل المعنوية، كالايمان بالله وبملائكته ورسله وكل ما يقرب من رضى الله ، ومن هذا الباب وصفهم الله في غير ما آية بعدم العقل وبعدم التفكر ، وبعـدم الفقـه .

تـتـمـيـم

رأينـا هنالـك ـ فبـركـة ـ معـدة لنشـر الخشـب ، وبمـجـرد دخولنا جاء المعلم بحبل عظيم وربطه في عود عظيم من خشب ، وجعل الحبل في مخطاف وادار ـ المكينة ـ ورفع في الهواء وحده في الظاهر ، حتى وصل الى محل فخرج من شق خشبتين قدر ما تخرج الابرة ، ونشر في الحيـن الخشبـة علـى

---

1) أي ما يـساوي اليـوم 3750 درهـم .

2) الناعورة لعبة للاطفال على اشكال وتسمى هكذا لانها تدور كناعورة الماء.

3) الجعبة في الاصل كنانة النشاب ثم استعيرت لكل ما كان كالقناة صغيرة أو كبيرة من حديد أو من خشب أو من زجـاج أو من أية مادة كانت ومنه جعبة البندقية.

4) اناء يغلي فيه المـاء لتحضير الاتاي (الشاي) والكلمة تركية الاصل ـ ويشير هنا الـى مـا يسمـى Marmite de Papin

نصفين ، ثم لمحل آخر فخرج منشار آخر من بين خشبتين ، وبمجرد الفراغ من النشر يدخل لمحل ، بحيث لا يرى له اثر اصلا ، وهذا كله في نحو الدقيقتين ، ثم دخلنا ـ لفبركة ـ اخرى يصنعون فيها عظام السروج (1) وبمجرد وقوفنا ـ فصل ـ المعلم سرجين على ستة فصول ، في مقدار دقيقة ، وهنا مناشير تفصل عظام السروج ـ بالمكينة ـ ويدخل ـ لمكينة ـ بقصد التقويم ولزق ـ الغرا ـ ويدخل أيضا لمحل قربه بقصد تجليده (2) ، وغير ذلك مما يحتاج اليه.

وصف معرض عام

وبعد هذا ذهبنا لدار هنالك خارج المدينة من ـ بلور ـ وتسمى عندهم بدار البلور ، وهي كقرية عظيمة حيطانها من بلور ، وقبابها من بلور ما عدا ارضها فانها من الخشب وهي مشتملة على عجائب وغرائب ازرت بالفراعنة السالفة فيما مضى من القرون ، مثل فرعون ، وهامان وقارون ، وفيها من التصاوير من كل شيء شيء من الآدمي المعروف ومن آدمي البحر ، في داخلها دكاكين وحوانيت من زجاج واشجار مزهرة من ـ لشين (3) ـ ولا توجد الا بهذا المحل مغروسة في محل شبيه بالجفنة، له جرائر (4)، بحيث اذا أريد انتقالها من محل لآخر امكنه ذلك ، وفيها من الحيوانات المصبرة مثل الفيل والاسد والنمر والزرافة وغير ذلك ، واقفة هنالك كانها حية ، والحاصل ، ان فيها من التصاوير والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ، فمنها صورة امراة من مرمر ،

---

1) عظم السرج هو هيكله قبل أن يغطي بالجلد وبما يجعل فوقه من حرير ونحوه.

2) جلد الكتاب جعل له سفرا من جلد . وهنا جعل الجلد للسرج.

3) لتشين وكتبت في الاصل لشين هنا هذه اللفظة تطلق في المغرب على ما كان يدعى نارنج ومنه لفظة Orange بالفرنسية والانكليزية Naranja بالاسبانية والتي منها لفظة لرنج المغربية للنارنج الامر المسمى بالفرنسية Bigaradier اما لتشين فيشتق من اسم الصين (تشينة مع لام التعريف الذي أدمج في الكلمة) ـ لان أصل هذه الفاكهة من الصين وفي المشرق يسمونه البرتقال في حين أن البرتغاليين يسمونه لارنجة Laranja

4) جرائر جمع جرارة وهي كل آلة لجر أشياء فوق الارض مثل المقصود هنا أو لجر الدلو من قعر البئر أو نحو ذلك Poulie بالفرنسية) .

بيدها ولد كذلك ، كانها ترضعه ، ومنها صورة اشخاص اموات في صناديق من رخام مموهة بالذهب زعموا انهم وجدوا في القديم اناسا كذلك في قبورهم ، ومنها صورة اناس كانهم احتضروا واهلهم مجتمعون عليهم يبكون ، وعالمهم عند راسه بيده كتاب يقراه عليه ، وآخر عند رجليه يبخر بآلة البخور بيديه ، وهكذا ، وبها صورة افراس قائمة ، عليهن صور رجال من نحاس ، وهذه الدار كلها محدقة ببستان نضير مريىء ، ماله نظير ، به أزهار بانوار ، وبه قباب مختلفة الاشكال، حسان ، ربما تعجب من حسنها الانسان ، ثم ان بابواب هذا المحل اناسا قائمين به، من أراد أن يدخل اليه أعطى نصف ريال(1) ودخل، ومما رأيت بهذه الدار ان بوسطها شجرة عظيمة مقلوعة مجردة من اغصانها ، باطنها منحوت ، وهي واقفة هنالك ، وباصلها باب دخلت اليها فوجدت اصلها المنحوت يسع عشرة من الرجال جالسين، وبها خصة (2) من بلور، على اعجب شكل، وهذه الدار مشتملة على قصور على اشكال وبناء كل اقليم ، فمن بناء ــ الفرنصيص ــ قصر على صفة بنائهم ، ومن بناء العجم قصر ، ومن بناء مصر قصر ، وهكذا ، ومن بناء الاندلس مسجد عظيم هنالك على شكل بناء المغرب ، ووجدنا مكتوبا في حيطانه بخط جيد ، (الملك للدائم) (والعز للقائم) ووجدنا بعض القباب مكتوبا في ارضها (لا غالب الا الله) فساءنا ذلك غاية ، وكلمنا بعض عظماء الدولة كان حاضرا هنالك ، فاجابنا بانه يكلم الدولة ويزال من هنالك ، وقال ، ان الدولة لا تحب ذلك ، اعني بقاء الكتابة هنالك بالارض تطاها الاقدام ، وزعموا ايضا انهم نقلوا صورته كذلك من الاندلس ، اعادها الله دار اسلام ، ومزق اجناس الكفار ، بجاه النبي عليه السلام، والحاصل ، ان فيها من العجائب ما لا يقدر على حصره العاد ، ولو استحضر القرطاس والمداد ،

---

1) أي ما يساوي اليوم 265 فرنك وهو شيء كثير للدخول لمعرض من هذا النوع ولعل هذه المعارض في أول عهدها كانت شيئا جديدا يكلف مصاريف كثيرة فاحتيج الى جعل ثمن الدخول غاليا لهذا الحد .

2) الخصة وتجمع على خصص وخصات هي حوض من رخام أو حجر مستدير ومرتفع عن مستوى الارض وفي وسطه انبوب يتدفق منه الماء . وتكون الخصة في القصور الكبيرة والرياض الفسيحة وسط صهريج مستدير أو مربع أو مستطيل وربما اتخذت فيه عدة خصات اذا كان كبيرا .

فرب سكوت كـان فيه بـلاغـة   ورب كـلام فـيه عـتب لعاتب

واضربنا عن سرد بعضها ايضا لطول العهد مع حصول بعض النسيان الذي هو من عوارض الانسان ، اللهم احص القوم الكافرين عددا ، وشتتهم بددا ولا تبق منهم احدا ، آمين .

وصـف تدريبات في الرمـاية

وبعد ما فرغنا من رؤية ــ الفبركات ــ في يومنا ، ذهبنا لمحل هنالك متسع ، يرمون فيه بعدة المكاحل الجديدة التي ابطلت العدة القديمة ، فوجدناهم يرمون فيه، باذن من الدولة، في الساعة الثالثة من النهار، وبنوا ــ اشارات(1)ــ متعددة على بعد كثير ، بحيث يراها حاد البصر ، وعينوا محالا كثيرة للجلوس ، كـل جماعة تجلس على حدتها وهنالك رؤساء واقفون على ذلك بيدهم كنانيش(2)، ثم يوذن لهم في الضرب فيضربون على الترتيب ، وارباب الكنانيش ينظرون ، وهـم يتنافسـون في ذلك ، فمن أصـاب منهـم قيـدوا اسمـه وأعطوه فـي الحـين نيشانـا (3) آخـر وأعـطوه عطـاء جزيـلا ، قـالوا انـه مـائـة ابرة (4)

---

1) اشارات مفرده اشارة وهو استعمال مغربي لما يتخذ هدفا ويـشار اليـه أيضـرب خصوصا في التـداريب العسكريـة .

2) كنانيش جمع كناش وهو الدفتر من الكلمات المولدة واصلها من الارامية واستعملت اولا للكتاب الذي يضم اسماء المفردات الطبية ثم عممت لكل دفتـر . وفي المغرب توجـد الكناشة أيضا وهي الـدفتر الـذي يسجل فيه العالم فوائـد ومـذكرات وانشـادات , نحـو ذلـك .

3) نيشان كلمه تركية لها معان وتستعمل عند المغاربة .
كما هنا وبمعنى وسـام .

4) ابـرة : اسم العملـة الانكليـزية عنـد المغاربة اخذا عن الاسبانيين الـذين يسمونهـا Libra esterlina ومعناها ليبرة شرعية ــ اما الانجليز فانهـم يسـمـون عملتهم « بـارنـد » Pound ــ وقد ظن المغاربة ان اللام في هذه الكلمة هـي للتعريف فقالوا البيرة وعندما يتكلمون عن العملة بالتنكير يزيلون ال فيبقـى يبـرة وتلتبس في النطق بـابرة الخيـاطة ، اما قيمتها وقت كتابـة المؤلف فقـد كـانـت خمسة ريالات مغربية والريال 25 غـراما من الفضـة فتكون البيرة 125 غرام وذلك مـا يساوي اليـوم 500 000 فرنك من العملة المغربية . وتكون هذه المكافاة 100 يبـرة تـساوي 500 000 فرنك من عملتنا أي 5000 درهـم .

و ـ البيرة ـ خمسة ريال ، فتجتمع له خمسمائة ريـال .

وصف متحف السلاح

ثـم بعـد هـذا ذهبنا لخزانة مـن ذخـائرهم ، فراينـا فيهـا امـورا غريبة ، واشياء رفيعة ، منها ان اشخاصا مصورين على افراس مصورة ، والجميع عليه غلاف من حديد بحيث لا يظهر عدا الحافر واقفة هنالك ما يزيد على المائة واعينها تظهر من شق الحديد ، ذكروا لنـا ان خيالتهـم كـانوا يقاتلون على هذه الهيئة ، وراينا فيها من السلاح القديم عددا كثيرا ، حيطان هـذا المحـل كلهـا مملوءة، والسقف كذلك، وهنالك سلاحات(1) كثيرة من كل اقليم، وكل عدد بمحل عليهزجاجة، ورأينا اشياء اغتنموها من جنس ـ الفرنصيص ـ منها نواقيس(2) وسرج ـ منبتة ـ ومدافع ومكاحل وغير ذلك،ورأينا هنالك صورة زعموا انها كانت ملكة على جنسهم ، عليها من الحلى والجواهر واليواقيت ، ما ينيف على الثلاثة ملايين ، وفوق هذا المحل قبة من زاج ، فيها تيجان ـ منبتة ـ بالدر والياقوت والاحجار الرفيعة ، ورأينا احجارا على قدر بيضة الدجاجة ، وفي هذا المحل عدد من الرجال قائمين به ، عليهم ثياب رفيعة ينظفون ما يحتاج الى تنظيفه وينفضون كل يوم ما يحتاج الى نفضه ، ولهم اجرة كثيرة على ذلك ، ورأينا محلا آخر لهم مـثل هـذا وازيـد مـنه.

وصف معرض النبـاتات

وبعد هذا ذهبنا باذن الملكة لبستان عظيم لها يجتمعون فيـه أغنـي النصاري من السنة الى السنة، ويأتي كل واحد بما له من غلل(3) الاشجار، من

---

1) السلاحات : جمـع لـسلاح .

2) نواقيـس : (في الاصل مكتوبة بالصاد وذلك لان السين في هذه الكلمـة تنطق مفخمة في اللهجة المغربية) . والنواقيس جمع ناقوس وهو الجرس الذي يضربه النصارى في الكنائس لاوقات صلواتهم ولكن في الاستعمال المغربي يـراد بـه الجـرس مـطـلـقـا .

3) الغلل : جمع غلة وهي كل ما تنتجه المـزرعة والبستان ونحوهما ، وعند المغـاربة الغلة خاصة في الغالب بالفواكه .. وتجمع كذلك على غلات ،

ثمار وازهار ، فوجدنا هنالك من انواع ـ النوار ـ والازهار ما له رائحة طيبة ، وما لا رائحة له ، ولونه مستحسن ، ومنه الاحمر والاخضر والاصفر والابيض والاسود على اختلاف الالوان ، ومنه ما هو بمحل يمكن انتقاله ، ومنه ما لا يمكن ، فيوتى به مجتنى ووجدنا ايضا فيه جميع الغلات التي تكون في الفصول الاربعة من ـ لتشين ـ وبطيخ، وعنب، وخوخ، وباكور(1)، وغير ذلك، وكان الوقت اذ ذلك عندهم هنالك وقت الربيع ، خلاف ما عندنا في المغرب عمره الله ، فان الفصل فصل المصيف ، وذلك لان عرض هذا البلد اعني ـ اللندريز ـ مختلف اذ هي في ناحية الجنوب (2) فالغالب عليها كثرة الامطار والبرودة ، وهذا كله بامر الملكة، فاذا رات ان احدا ثماره جيدة سالمة من العاهات ، او ازهاره كذلك، اعطته عطاء جزيلا ، بقصد ان يولع هو وغيره بذلك ويتنافسون في ذلك .

عجيبة

رأينا في هذا البستان وغيره قبابا مركبة من خشب وزجاج ، وفي داخل القبة اشجار من شانها الاثمار او الازهار فقط ، وبازاء القبة محل فيه ماء ، ومحل آخر معد للنار و ـ مكينة ـ تطبخ ذلك الماء ، فاذا اراد الله وجود غلة من غلال المصيف مثلا ، طبخوا ذلك الماء ـ بالمكينة ـ ويجعلون جعابا من حديد متصلة بعروق تلك الاشجار ، ويسدون ما ظهر من ذلك الماء ، فاذا طبخ خرج منه ، وذلك البخار يدخل في تلك الجعاب فيسرى الى عروق تلك الاشجار فتنضج وتلد في اقرب وقت ، وقد اكلنا من هذه الغلل الا انا حسبنا ما يقوم به الرطل الفاسي (3) من العنب بثلاثة ريال ، وخوخة واحدة بريال واحد ، كما

---

1) الباكور : يطلق في المغرب على التين الاخضر الكبير الطري .

2) ـ الجنوب هنا بمعنى الشمال لان الخرائط العربية تجعل في اعلى الصفحة الجنوب وفي اسفلها الشمال وفي يمنها الغرب وفي يسارها الشرق ، فلما راى في الخرائط الاوربية انكلترا في اعلاها اعتبر ذلك جنوبا وهو في الحقيقة جهل بالجغرافية.

3) الرطل الفاسي كان انواعا منها الرطل العطاري وكان يساوي 500 غرام والرطل الخضاري يساوي 1000 غرام وعليه فالكيلو غرام الواحد من العنب كان يساوي ما يعادل اليوم 30 درهما والخوخة الواحدة عشرة دراهم ، وهو شيء معقول اذا اعتبرت المضاريف الضخمة اللازمة لتسيير هذه التجهيزات .

اخبرونا بذلك، وهذا كله مصداق قول الله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وقوله عليه السلام:«الدنيا سجن المومن وجنة الكافر» ويزيدهم ذلك تعنتا في كفرهم ، دمرهم الله ، آمين ، قال بعض العلماء ان النصارى حرموا جنة الاخرى ، فاعطاهم الله جنة الدنيا بستانا متصلا من البحر المحيط بالاندلس ـ الى خليج قسطنطينية وعندهم عموم شاه بلوط (1) والبندق (2) والجوز والفستق (3) وغير ذلك مما يكون اكثر وامكن في الاقاليم الباردة ، والتمر عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكار ـ كذا ـ وربما يكون شيء من ذلك في الساحل، لان هواء البحر يدفيء، ﻫ ، من نفح الطيب، وهذه المدينة اعني ـ اللندريز ـ شديدة البرد كثيرة الامطار .

وصـف الـبـنـك

ثم بعد هذا دخلنا لمحل هنالك يسمى عندهم ـ بالبانكوا (4)ـ وهو معدود من ديار السكة عندهم ، مررنا بمحل مظلم وجدناه مملوءا بالقطع من الذهب والفضة ، لا يقدر على حمل الواحدة الرجل الواحد ، وهذا المحل قدر الدار المتوسطة ، ثم صعدنا لمحل اخر فوقه يطبعون بالآلات كاغيد السكة (5) يبيعون به ويشترون به ، فمنه ما فيه الف ـ بيرة (6) ومنه ما فيه ألف ريال ، وهكذا ، فاذا أراد الشخص من له حق مثلا ان يأخذ كاغيدا مطبوعا يذهب به الى الصيرفي يصرفه له

---

1) شاه بلوط هو ما نسميه في المغرب بالقسطال .

2) البندق ثمر شجرة يشبه القسطال الا أنه اصغر منه جدا فهو اكبر بيسير من الحمصة ويسمى بالفرنسية Noisette

3) الفستق ثمر شجرة بقدر ثـمر البنـدق وقشرته بيضـاء مصفرة ويسمى بالفرنسية Pistache وأصل الكلمة عند العرب والافرنج من الفارسية .

4) البانكو : كلمة اسبانية معناها الاول كرسي مستطيل من خشب يجلس عليه اكثر من واحد ، ثم صار يطلق على مصرف المال . واظن أن أصل الكلمة من العربية الفصيحة تبنك جلس واقام في محل وفي نعمة وعز ـ ومنه في العامية المغربية مبنك أي مقيم في نعمة وتـرف .

5) كاغـيـط السكة : الاوراق البنكيـة .

6) بيرة انظر ابرة ص. 31 تعليق (4)

يعطيه في الحين ذلك القدر المصطلح عليه فيه، وهكذا، ووجدنا عندهم موفورا الالاف الالاف، وقد احدثوا هذه السكة في القرب، وسبب احداثه ـ كما يقال ـ ان الدولة ـ النجليزية ـ بلغها عن بعض اجناس النصارى يقولون ، ان دولة ـ النجليز ـ حصل لها ضعف وفاس مثلا ، فاتفقوا على استعمال ذلك اظهارا للقوة ، دمرهم الله ، ثم صعدنا لمحل آخر فيه ـ مكينة ـ يختبرون فيه سكة الذهب شبيها ـ باللويز(1) ـ الفرنصوى ، المعروف الزائف والجيد والناقص والكامل ، ورايناهم يجعلون عددا في محل دفعة واحدة ، فما كان رديئا خرج في محل معلوم له وما كان جيدا خرج في محله المعلوم له ، وهكذا ، وما وجدوه ناقصا افسدوه في الحين ، ورأينا هنالك خزائـن مملوءة ـ بالخناشي ـ منـه والله يهلك القوم الكافريـن ، آميـن .

(فائدة) في الكاغيد ثلاث لغات (2)، احدها وهي الجارية، الكاغيد، والثانية، الكـاغط ،.والثالثة ، الكـاغط .

وصـف مـعـمـل الـزجـاج

وبعد هذا دخلنا لدار صنعة الزجاج، من كؤوس وغيرها، فوجدناه محلا عظيما وبه من العملة عدد كثير، وبه محل شبيه بفرينة الاجور (3) العظيمة، وبه نار لا يقدر الرائي ان يتمكن من النظر فيها لشدة اضطرامهـا وهيجـانهـا ، يدخل قضيبا من صفر (4) مجعوبا ويخرج من ذلك المحل قطعة لازقة، فينفخ في ذلك القضيب فينفتح وسط تلك القطعة ثم يدفعها لصائغ آخر فيصنع منها اما كاسا او غيره او ما شاء من الاواني ، ثم اذا ارادوا تمويهه دفعوه لمحل آخر فيه صناع

---

1) اللويز الفرنسوي : قطعة ذهبية قديمة تنسب لملك فرنسا لويس الـرابـع عشر وقيمتها عشرون فرنكا وهي تقتنى الى الآن وان كان التعامل غير جـار بهـا . ويساوي اللويز اليوم خمسين درهما من عملتنا .

2) انظـر تعليق ، (3)ص. 10 .

3) فرينة الاجر ، اي الفرن الذي يطبخ به الطين لصنع لبنات البناء وهـي الآجر واحدته آجرة ويقال له في العامية المغربية لاجور واحدته لاجيرة لانهم ادغموا لام التعريف في الكلمة وصار جزءا منها فاذا عرفوه قالوا فيه اللاجـور ، ولا ادري امـاذا صغـر الـفـرن .

4) الصفر هو النحـاس الاصفـر .

معدون للتمويه . وهذا التمويه اما ان يكون من ذهب ، واما ان يكون بلا شيء ، ثم صعدنا لمحل آخر فيه آلاف الآلاف من كؤوس الزجاج مهيئة للبيع واواني الفخار والثريات المموهة وغيرها ، والمصابيح على اشكال ، واواني رفيعة ، كل ذلك معد بقصد البيع ، والله يبيد جمعهم ، ويهلك شيعتهم وفرقهم، آميـن .

وصـف مـكـتـب الـبـرق

وبعد هذا ذهبنا لمحل السلك (1) المعد لورود الاخبار من المحال وتوجيهها، وسبب دخولنا اليه ان اصحابنا الذين كانوا ـ ببريز ـ سمعوا بخبر الريح الاصفر (2) بفاس وما والاها، وبقوا على شك من ذلك، فارادوا أن يحققوا الخبر عن ذلك ويسالونا عنه وطلبوا من ارباب صنعته هنالك ان يخبرونا بواسطة ارباب صنعتهم ـ باللندريز ـ ووقتوا لذلك وقتا معينا وهو الساعة العاشرة من النهار ، فاجبناهم لذلك وذهبنا لمحل بوسط المدينة في الوقت المذكور ووقفنا نحو الدقيقة ، المجانية فحرك السلك هنالك ـ ببريز ـ فجعل من معنا بمحل صنعة ـ اللندريز ـ يلتقط الحروف ، فاجتمع له من ذلك : ان اصحابكم اتوا لمحل السلك هنالك ثم هززنا لهم السلك للاعلام بحضورنا والسؤال عنهم وعن احوالهم فاجابونا وسالونا عن تحقيق الخبر المذكور بما لدينا ، وهو انه كان هنالك شيء فعافاهم الله ولا باس فأجابونا بازالة ما بهم من تشويش الخاطر فحمدنا الله على ذلك ، وحمدوا الله كذلك وامس هذا كان جاءنا كتاب من عند سيدنا نصره الله وفي طيه كتاب لهم ايضا ، وكنـا وجهناه لهم في صبيحة هذا اليوم قبل الشروق ، فاخبرناهم بذلك واجابونا عنه ، فودعونا وودعناهم ، ومقدار كلامنا وكلامهم من اوله الى آخره اقل من ـ قسم ـ مجاني، ومسافة ما بين ـ اللندريز ـ وباريز من الاميال خمسمائة(3) ومقدار ما يصل الخبر في السلك من اللندريز ـ الى ـ اصطنبول ـ اربع سوائع ـ مجانية ـ والى ـ مدريد ـ ثمان سوائع ، وبدار صنعته اناس كثيرون ، ذكرانا واناثا ، ومن

---

1) محل السلك : يعني مكتب البرق أي التـلغراف .

2) الريح الاصفر كان يطلق على الوباء المسمى اليوم كوليرا

3) وذلك 480 كيلوميتر حسب تقديره واعتباره الميل الفي ذراع .

هذا المحـل يتفرق الى البلدان ، كاصطنبول (ا) ، والهنـد ، ومدريد ، ومصـر وغير ذلـك مـن البـلدان .

والحاصل ، ان هنالك محلا عظيما متسعا مشتملا على انه في باطنها اسباب ومسببات غائبة عن الحس ، وهي مما يدق وصفها ويصعب ذكرها ،

الله اخـر مـدتـي فتـاخـرت حتى رايت في ذا البلاد عجائبا

وصـف قنطـرة لـنـدن

ومما راينا بهذا البلد من العجائب ان محلا هنالك يهبطون له بمائة واربعيـن درجة ، وفي طرفه الاخر المقابل له درج كذلك ، فنزلنا له على محل يهبطون لـه بمائة واربعين درجة ، وراينا هنالك بناء عظيما ، مقوسا طويلا جدا قـدر مـادة البصر ، وبه حوانيت على قدر طوله يبيعون ويشترون ، وفوق هـذا المحـل واد عظيم اشبه بالبحر تمر عليه المراكب العظام ، الا ان هذا المكان مظلم ، يستضيئون فيه نهارا ، وهذه القنطرة يعجز الواصفون عن وصفها لطولها وجودة بنائها ، ثـم اعلم ان نظرنا في هذه الاشياء انما كان تبعا واسعافا في خاطر ملكتهم اذ طلبت منا ذلك مرارا ، وكان نظرنا وفكرتنا مجموعة على قضاء غرض مولانا امير المومنين، ادام الله لسيدنا النصـر والتمكين ، آميـن .

اذ هو الاهم المقصود بالذات ، وليس لنا فيما سواه التفات ، فساعدناهم على رؤية هذا النزر اليسير ، بعد ان اضربنا على مواضع كثيرة ورؤية عجائب اخرى ، طلبوا منا اليها المسير ، فصرنا نقترح منهم ما هو المقصود لدينا ، ولاجله اتينا ، ونحن نحاول امره مـدة مديـدة ، وايـاما عديدة ، حتى من الله علينا بالفرج ، بعد ما كنا في ضيق وحرج ، واخذنا في اهبة السفر ، بعد قضاء الوطر .

ذكـر خـروجنـا مـن ـ اللنـدريـز

كان ارتحالنا من هذه القاعدة ـ بعد ان شيعنا عظماء اهلهـا وزعموا انهم

ا) اسطنبـول : يكتبهـا بالصـاد لان السيـن تنطـق مفخمـة فـي هـذه الكـلـمة فـي اللهجـة المغـربيـة .

اسفوا لفراقنا. وادعوا انهم الفوا بنا – في ٥ – من المحرم الحرام عام 1277 (1)،
فركبنا وصرنا في العربيات حتى وصلنا لمحل اجتماع – البابورات – البرية ،
فركبنا وسرنا على بركة الله ، الى ان وصلنا – بورصموت – ومدة ركوبنا فيه
ساعتان ونصف – مجانية – فنزلنا بمحل هنالك مثل المحل المتقدم ، وزاد علي
هذا بكونه جديدا ، وفراشه كذلك ، واوانيه كلها كذلك ، واتى للقائنا – ميران –
البحر و – صارى – عسكر هذا المحل ، ورئيس – بابورنا – وغيرهم من الاكابر ،
فسلموا علينا وذهبوا لحال سبيلهم .

وصـف مرسـى بورسمـوت

وفي الغد أتى – الميران – ومعه من ذكر فاستدعانا لرؤية المرسى وما بها من
المخازن والمراكب ، فساعدناه وركبنا في – الكروصة – وذهبنا حتى وصلنا للمرسى
وهي محل نزول المراكب الكثيرة و – ترسيتها ، فراينا المرسى بتمامها دائرة
بالمخازن ، فمنها المملوء بالمدافع والمهاريس و – الكور – والصواعق على انواع ،
ومنها المملوء بالسلاح ، وصناديق البارود ، و – الخفيف – على انواع ، ومنها المملوء
– بالكراريط – على انواع كذلك ، ومنها المملوء – بالصوارى – والمخاطيف كذلك ،
ومنها المملوء – بالبرغول (2) – ومنها المملوء – بالبشماط (3) – ومنها

---

1) الموافق ليوم السبت 28 يوليه سنة 1860 م .

2) البرغول : كلمة فارسية تطلق على القمح يطبخ وييبس ليـؤكل مـع اللـحم او اللبن (بالمعنى المغربي وهو ما يتبقى بعد مخض الحليب واخراج الزبد، ويسمـى هكذا ايضا في العراق وفي الكويت ويقال عندهم كذلك للبن الحلو الحليب).

3) البشمـاط : البشماط وينطق في اللهجة المغربية «بجماط» كلمة تركية تطلق عندنا على نوع من الكعك يتخذ بعجن دقيق القمح وماء الزهر والسكر والسمسم وتتخذ منه خبيزات صغيرة مستديرة وتوجه للفرن وبعد رجوعها من الفرن (ويـمكن أن تؤكل كذلك وتسمى حينئذ قراشل واحدته قرشالة) تقطع قطعا صغيرة مثـلثة الشكل وتوجه للفرن لتطبخ ثانية فتصير اصلب ويمكن أن يحتفظ بهـا مدة طويـلة فكانت تؤخذ للمنزه بالبادية التي كانت تدوم عدة أسابيع أو تجعل في زاد المسافرين. فهي نوع من البشكيطو Biscuit ومعنى هذه اللفظة المطبوخ مرتين .

المملوء بارز احمر . ومنها باللحم المملح ، والحوت المملح ، لا يقدر الانسان ان يشم رائحة ذلك . ومنها مخازن ثلاثة مملوءة بكسوة العسكر على انواع ، وهنالك واحد كبير مملوء بنعال العسكر ، وهنالك مخازن عظام معدة لخدم السفن على سائر الدوام ، وبالمرسى داخل البحر مراكب عظام قديمة مرساة دائما لا تصلح للسفر مملوءة بمن يخدم كسوة العسكر من تفصيلها وخياطتها على سائر الدوام ، وفيها من يخدم النعال العسكرى ، وفيها من يقرىء عددا كثيرا من الصبيان من ثمانية سنين فاقل ، وفيها من يقرىء اكبرهم سنا ، الحساب ، راينا هنالك عددا من المراكب معدة لهذا المعنى ، وتسمى ــ بفركاطة لان لها ثلاث طبقات .

والحاصل ، انا مهما صعدنا لمركب من تلك المراكب وجدنا فيها عددا من الصبيان فما فوقهم بقصد التعليم لا غير ، ولا ينزلون للبر الا ثلاث مرات في العام بقصد رؤية اهلهم ، فبالمراكب يطبخون ما ياكلون ويه ــ يصبنون ــ حوائجهم ، وهم يحرسونهم ــ بالبابور ــ خشية ان ينزل احدهم للبر ، وبالمرسى اكثر ، ويقسمونهم في التعليم على ثمانية اقسام وملكهم يمون الجميع ، ثم رجعنا لمحل نزولنا .

(تنبيه) جميع المراكب التي عند ــ النجليز ــ مائتان والف فسبحان من قضى عليهم بالكفر ، وحتمه عليهم حتما (ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى)

ذكر الارتحال من مرسى بور صموت

وفي يوم الاربعاء ــ 12 (1)ــ من المحرم،كان ارتحالنا من هذه المرسى،وخرجنا من الدار في الساعة العاشرة منه ، فوجدنا العسكر مهيئا ضاربا الصفوف و ــ الموسقة ــ تضرب ، حتى اتينا للمرسى فركبنا في ــ بابور ــ صغير ، بعد ان خرج(2) عدد من المدافع على قاعدتهم، وسرنا على بركة الله حتى وصلنا ــ للبابور ــ

---

1) بل كان يوم الاربعاء 13 من المحرم سنة 1277 الموافق لفاتح غشت سنة 1860.

2) خرج المدافع بصيغة التفعيل استعمال مغربي بمعنى أطلق اي جعل المدفع يرمي قذيفته وتستعمل لكل الاسلحة النارية ، ويقال خرج العمارة اي ما عمرت به البندقية أو المسدس ونحوهما .

الذي جئنا فيه ، ووجدنا رئيسه المذكور اولا فيه . وهو الذي طلب مـن دولتهم ان يردنا لمحلنا ، فنزلنا من الصغير وصعدنا للاخر الكبير ، فسر الرئيس ومن معـه بذاك ، وركب معنا بعض عظماء الدولة فسافر معنا في البحر نحو الساعـة حتـى وصلنا لمرسى اخرى ، فودعنا ذلك البعض ونزل بهذه المرسى ، وسرنا على بركة الله قاصدين اوطاننا المغربية ،صانها الله من كل مكروه وبلية ،

قـطـر كـــان نـسـيـمـــه	نفحـــة كـافـــور ومســـك
وكـــان زهـــر ريـــاضـــه	درهـــوى من نظـم سلـــك

وماذا عسى ان اذكر في اقليم ، تعين لجهة فضله التسليم ، سيما فـاس التـي يستنشق منها اطيب الانفاس ،

بلـد طاب لـي بـه الانس حينا	وصفي العـود فيه والابـــداء
فسقت عهـد المهـــاد وروت	منـه تلـك النوادى والانـــداء

وكيف لا ، وامير هذه الاقطار منبع العلوم الفياضة ، ومجمع الحكمة والرياضة ، الهمام المظفر المؤيد ، ابو عبد الله سيدنا ومولانا محمد ، اعز الله ذكره ، ونصر اعلامه وبنوده ، وحفظ وزراءه واعوانه وجنوده ، وحيا محياه ، واطـال محيـاه ، واصلح به الوجود ، وافاض به سحائب الكرم والجود ، آمين ،

ادام لـه الله السعـود وابقيـت	عـلاه بجيد الملـك منظمـات

ثم سرنا يومنا كذلك ، والمكلفون ــ بالبابور ــ كل واحد قائم بوظيفه كما نقدم حرفا حرفا ، ومن جملة ما في هذا ــ البابور ــ طبيب ماهر ، وراهب يتحنث هناك ، ولا زلنا سائرين الى ان مضت ستة ايام ، وفي اليوم السابع استقبلنا ثغر طنجة المحروس بالله ، فلمـا وصلنا لمرساها الفينا هنالـك ثـلاثـة مراكـب لجنـس ــ الصبنيول ــ فاعطوا لاهل مركبنا السلام بالمدافع على عادتهم ، ثـم جاوبهـم اصحابنا ، ثم اخبرنا هنالك بأن ينظرها (1) ــ لان الجنس المذكور طلب منه ذلك ــ سيدنا الشريف المنيف ، من تطيب به الانفاس ، سيدنا ومولانا العباس ، باحد

(1) هـذه العبارة الـى قوله : « وبمنه آمين » وردت هكذا فـي الاصل وفيها نـوع تـشـويـــش.

تلك المراكب ، ينظرها ، لان الجنس المذكور طلب منه ذلك حفظه الله تعالى فيه ، ويمنه آمين ، فسلم عليه رؤساء ـ بابورنا ، واخرجوا عددا من المدافع على العادة ، ثم نزل سيدنا الشريف المذكور ورسى ـ بابورنا ـ وتهيا العسكر لوداعنا واحضروا طنابيرهم (1) و ـ موسقاتهم ، وتاخرنا قليلا تادبا مع الشريف المذكور، فنزلنا من المركب، بعد أن اخرج عدد من المدفع وضرب العسكر ـ الموسقة ـ وفعلوا مثل ما تقدم واكثر ، ولما راينا طنجة ، وشاهدنا معالمها ، ورسومها ومعاهدها ، انشدت قول من حن وان ، وقلق قلبه وما اطمان :

حمدت ـ وحق الله ـ للغرب رحلة اتاحت لعيني اجتلاء محياه
وبعد التنائي صرت ارتاح للصبا لان الصبا تسري بعاطر رياه

فنزلنا بمرسى طنجة وقت الظهيرة ، وسرحنا العيون في محاسنها الشهيرة ، فالفينا سيدنا الشريف جالسا بمحل هنالك ، فسلمنا عليه وجلسنا مدة بين يديه ، وحمدنا الله على ذلك ، وجعل رعاه الله ، يسالنا عن احوالنا ونحن نجيبه اعزه الله ، بما لدينا ، ثم ودعناه وودعنا ، وذهبنا لمحل نزولنا واقمنا بهذه المرسى خمسة ايام ، وفي اليوم السادس في يوم الاثنين الرابع والعشرين(2) من المحرم، كان ارتحالنا منها قاصدين ـ فاس ـ صانها الله من كل مكروه وباس ، فكان دخولنا لها في يوم السبت متم محرم الحرام فاتح عام 1277 (3) ، رزقنا الله خيره ، واجرى علينا بره ، امين .

قال مقيده الطاهر بن عبد الرحمان الفاسي عفا الله عنه هذا آخر ما

---

1) طنابير : جمع طنبور وهو الطبل في اللغة العامية المغربية كما قدمنا وانظر التعليق (1) ص. 7

2) بل كان يوم السبت الخامس والعشرين من محرم سنة 1277 والموافق لثالث عشر غشت 1860 م .

3) الموافق 18 غشت سنة 1860 م وقد كان فعلا يوم سبت . ولعله مدة غيبته كان لا ينضبط له امر رؤية الهلال وحساب الشهور فلما وصل للعاصمة وجد ان السبت هو 30 محرم . وذلك موافق للتصحيحات التي قدمناها في تعاليقنا السابقة منذ خروجه من فاس ان الى ان رجع اليها .

يسر الله كتابته في هذه البطاقة وهي في هذا الوقت منتهى الطاقة واقتصرت على المقصود بالذات لان البضاعة مزجاة والعبد الفقير من ذوي القصور والتقصير وكيف يستحسن من حثالة الحثالة من التعبير على اني لم اقف في هذا الترحال على من ارخ في هذا القطر او اشار اليه او احال بخلاف غيره من الاقطار وان كان بأيدي الكبار ثم اني استجلب صالح الدعاء من سيدنا ومولانا امير المومنين لنا ولجميع المسلمين واسال الله تعالى أن يشفع فينا جده النبي الأمين صلى الله عليه وسلم عدد كل حرف كتب وما لم يكتب الى ابد الآبدين ودهر الداهرين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ثم السلام الذي يتانق عبقا وتشرا ويتالف رونقا وبشرا على حضرتكم العلية ومطالع أنواركم الجلية ورحمة الله تعالى وبركاته .

كملت هذه البطاقة كما نقلتها من مبيضة مؤلفها شيخنا العالم العلامة المدرس النفاعة سيدي الطاهر بن عبد الرحمن الفاسي برد الله ضريحه آمين في 20 جمادى الثاني عام 1287 .

الفهـــــارس

1 ـ فهرس الاعلام الجغرافيـة

2 ـ فهرس الاعلام التـاريخية

3 ـ فهرس المواضيع المطـروقـة

4 ـ فهرس الألفـاظ الاصطلاحية والعـامية والدخيلـه .

فهرس الاعلام الجغرافية

حرف الالف

الاندلس .... 30 – 34
اسطنبول .... 36 – 37
البحر المحيط 34

حرف الباء

باريس .... 1 – 8 – 36
بريز انظر باريس
بور سموت ....4........ 7 – 8 – 38 – 93

حرف الحاء

الحضرة العلية انظر فاس

حرف الخاء

خليج القسطنطينية 34

حرف الطاء

طنجة .... 2 – 7 – 40 – 46

حرف الام

لندريز انظر لندن
لندن .... 1 – 7 – 24 – 25 – 26 – 27 – 28

حرف الميم

مدريد .... 36 – 37
مريكان 21
مصر .... 30 – 37
المغرب .... 30 – 33

حرف العين

العجم 23

حرف الفاء

فاس .... 2 – 36 – 40 – 41

حرف الهاء

الهند 37

حرف الواو

واد نون 21

فهرس الاعلام التاريخية

امير المومنين : أنظر محمد بن عبد الرحمن

الأفرنج 14

الدميري ....

كبطان لنج ....

محمد بن عبد الرحمن .... 1 — 2 — 3 — 5 — 11 — 36 — 37 — 40

(المقري) صاحب نفح الطيب 34

نابلون الكبير 14

النامسة 14

النكليز .... 1 — 3 — 4 — 7 — 8 — 10 — 35 — 39

الصبنيول 40

ج عبد الرحمن العاجي 1

(مولاي) العباس .... 3 — 40

(القاضي) عياض 2

الفرنسيس .... 1 — 3 — 13 — 30 — 35

فرعون 29

(الملكة) فكطوريا : 4 — 8 — 10 — 11 — 12 — 13 — 15 — 16 — 17 — 18 — 20 — 21 — 33 — 37

قارون 29

(محمد الشامي) 1

(كبطن) شاص يورط 5

هامان 29

فهرس الالفاظ الاصطلاحية والعامية والدخيلة (1)

حرف الالف

ابـــــرة 31
أطـبـــال 15
أكـــركـــة 24
امــــتـــار .... 23 — 27
الأمــــيــــن 1
الأنـثـــى والـــذكـــر ....1.................... 19
انـطـاكــو — 25 — انظـر أنطـاكيـات — 23
انـطـكـيـات 23
اقــــنـــاص 3
اســبـــرط 26
اشـــــارات 31

حرف الباء

بـــابـور .... 4 — 7 — 8 — 9 — 28 — 38 — 39 — 40 — 41
البـابـــورات الـــبـريـيـة .... 9 — 17 — 21
الـــبـاكـــور 33
البـــانـكــوا 34
بـــاشـــدور 10

---

(1) الالفاظ الدخيلة منها المستعملة في اللهجة المغربية ومنها ما أثبتـه المؤلف فـي رحلتـه .

البرطال 21
برمة الحمام 25
البرغول 38
بطن 10
البطيخ .... 21 – 33
بلارج 12
البلوطة 25
البنب 23
بنبة 27
البندق 34
بقرج 28
البسطة 10
المبشماط 38
بيت النار 24
بيضة 16

حرف التاء

التابع 16
تبريم 24
تجليد 29
تسرد العسكر .... 15 – 17
تكلم المدفع 17

حرف الثاء

ثقالتان 6

حرف الجيم

الجائزة 24
جزائر 29
جمعة 27
الجنس .... 8 ــ 10 ــ 13 ــ 22 ــ 40 (أجناس) .... 30 ــ 35
الجنوب 33
جعبة .... 28 ــ 33
الجوز 34

حرف الحاء

الحبة .... 23 ــ 26
الحربة 11
حلقة 3
الحوت .... 20 ــ 22 ــ 39
حيوان على هيئة الغزال 22

حرف الخاء

خرج المدافع .... 39 ــ 41
خزائن 17
خلفة 5
خنانيش 18
خصة 30
الخفيف .... 23 ــ 25 ــ 38
الخفيفة 25

الخيالة .... 16 – 24
خيل البحر 22

حرف الدال

دار البلور 29
دار الوضوء 4
ديار الصناعات 9

حرف الراء

رجالة 14
رجلية 16
الرطل الفاسي 33
الرفاص 4
رواشي 26
ريال .... 20 – 26 – 27 – 28 – 30 – 32 – 33 – 34
الريح الاصفر 36

حرف الزاي

زاج .... 9 – 20 – 22 – 29
الزواق 26

حرف طاء

طاسة 16
طنابير 41

الطنبور 7

حرف الكاف

كاغيد .... 10 – 28 – 34 – 35
كاغيد السكة 34
كراريط .... 17 – 18 – 19 – 23 – 38
الكرس .... 16 – 22
كروصات وكراريص .... 8 – 9 – 13 – 14 – 15 – 20
الكريطة 27
الكمخة 8
كنانيش 31
كنبيات 4
الكفراء 13
الكسرة 19
الكور .... 6 – 23 – 24 – 27 – 38
كورة .... 16 – 27
كوشة 24

حرف الام

لتشين .... 29 – 33
اللوير الفرنسوي ....
لين 22

حرف الميم

المتعلم 26
مجانة 6

محل البابورات .... 9 ـ 21 ـ 38
محل السلك 36
مخاطيف .... 18 ـ 23
مخاطيف المراكب .... 23 ـ 38
المخزن .... 8 ـ 14
مري 6
المكاحل .... 18 ـ 31
الدكينة .... 7 ـ 24 ـ 25 ـ 28 ـ 29 ـ 33
ملف 15
مليون .... 20 ـ 27
مصبرة .... 22 ـ 29
المعلم 26
مشاوات .... 11 ـ 12
مشي 27
مهاريس .... 27 ـ 38
الموسقات .... 8 ـ 15 ـ 16 ـ 17 ـ 39 ـ 41
ميد 12
6 ـ (الميزان الكبير) ـ 8 ـ (ميزان البحر) .... 12 ـ 38

حرف النون

ناعورة 28
نواقيس 32
نيشان 31

حرف الصاد

الصائر 27

مساري عسكر .... 12 — 38

صالة 10

صفر 35

الصواري 38

حرف العين

العربيات 38

عظام السروج 29

عسكر المدينة .... 13 — 15

حرف الغين

الغرا 25

الغلل .... 32 — 33

حرف الفاء

فبركة .... 23 — 24 — 25 — 28 — 29

فركاطة .... 4 — 39

فركط مل بمن 4

فرنية الآجر 35

فلوكة 3

الفستق 34

حرف القاف

قائد المشور 12

قادوس 25

فـــامـــرة 3
قـــاع 27
الــقـــــدم 5
القـــرطـــاس .... 25 – 26
الــقــلـــوع 7
قـــســم .... 9 – 36

حرف السين

ساعة مجانية .... 7 – 17 – 38 (سوائع مجانية) 36
ســـراجـيـب 4
ســـلاحات 32
الســـلك .... 8 – 36
سـقـايـــة 14
الـسـيـــف 15

حرف الشين

شـــاه بـــلوط 34
شـرشـمـــة 25
شمـاريـــر .... 5 – 17
الشـواقـــر 18

حرف الهاء

هطـيـــل 10
الـهـنـدقـــة 7

حرف الـواو

وادى .... 18 – 37

وجـــه وراءه .... 13 – 15 – 17

الـــــوردن 5

وشـــــاك 25

حرف اليــاء

يبــرة ، انظــر ابــرة ص 31

فهرس المواضيع المطروقة

صفحة

تقديم .... ب
مقدمة المؤلف 1
ذكر دخولنا لطنجة 2
ذكر ركوبنا في البحر 3
وصف المركب 5
وصف ميزان الطقس 6
الموسيقى بالباخرة 6
ذكر دخولنا لبور صموت 8
وصف محطة السكة الحديدية 9
ذكر دخولنا لللندريز 10
وصف لندن .... 10 ـ 11
إقتبال الملكة للسفارة المغربية .... 11 ـ 12
مادبة عشاء عند الملكة 13
وصف عسكر المدينة المحدث أيام الملكة فكطريا 13
استعراض الملكة لعسكر المدينة بمحضر السفارة المغربية 15
استعراض الملكة للجيش بمحضر السفارة المغربية 17
مناورة حربية بعد الاستعراض بأمر من الملكة 18
وصف حديقة الحيوان 21
غريبة 22
وصف معامل السلاح 23

عجيبة 27
سبب اكتشاف الطاقة البخارية 28
وصف معمل نشارة 28
وصف معرض عام 29
وصف تدريبات في الرماية 31
وصف متحف السلاح 32
وصف حديقة النباتات 32
الغراسة بالتسخين الصناعي في حظائر مسقفة 39
وصف البنك 34
وصف معمل الزجاج 35
وصف مكتب البرق 36
وصف قنطرة لندن 37
ذكر خروجنا من اللندريز 37
وصف مرسى بورسموث 38
المدرسة البحرية ببورسموث 39
ذكر الارتحال من مرسى بورسموث 39